تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة التاسعة • الاعداد ١٠٧ ــ ١١٠ • ايلول (سبتمبر) ــ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧ • الموافق محرّم ــ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ



تاريخ العرب والعالم

الأعداد ١٠٧ ــ ١١٠ ● ايلول ــ كانون الاول ١٩٨٧

تصدر عن دار النشر العربية للدراسات والتوثيق في منتصف كل شهر

صاحبها ورئيس تحريرها : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ المدير المسؤول : محمد مشموشي

قسم التوثيق والأبحاث : شذا عدرة

قسم التوزيع والاشتراكات : علي عبدالساتر

الانتاج: مطبعة المتوسط ش.م.م.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

ثمن النسخة

لبنان	٧٥٠ ل.ل.	سوريا	٣٥ ل.س.
العراق	١ دينار	تونس	١,٥ دينار
السعودية	١٠ ريال	الكويت	١ دينار
الاردن	٨٠٠ فلس	الامارات	١٠ درهم
البحرين	١ دينار	قطر	١٠ ريال
مسقط	١٠٠٠ بيزة	بريطانيا	١,٥ جنيه
صنعاء	١٠ ريال	ليبيا	١ دينار
		مصر	١ جنيه

الاشتراكات
(بما فيها أجور البريد الجوي)

- في لبنان: ١٠ دولار
- في الوطن العربي: للأفراد ٣٥ دولاراً
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ٧٥ دولاراً.
- خارج الوطن العربي: للأفراد ٥٠ دولاراً.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ١٠٠ دولاراً.
- اشتراك تشجيعي ١٠٠٠ دولار
- تدفع قيمة الإشتراك مقدماً نقداً أو حوالة مصرفية

ص.ب: ٥٩٠٥ ــ بيروت، لبنان ● بناية أبو هليل
شقة ١١ ● شارع السادات ــ تلفون: ٨٠٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
PERIODICAL ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM SADATE ST.
ABOU HILEIL BLG. P.O.B. 5905 TEL. 800783
BEIRUT . LEBANON

Vol. 9. No. 107-110. Sept-Dec 1987

ANNUAL SUBSCRIPTION : $100 (INCLUDING $25 FOR ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMMUNICATIONS, INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
«HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD»

في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الإجتماعية للكتاب، تراعى في الالقاب الصفات العلمية فقط ■



تاريخ العرب والعالم في عامها العاشر
تحديات وتصميم على الاستمرار

فاروق البربير

تسعة أعوام مضت ومجلة «تاريخ العرب والعالم» لا تزال مستمرة في الصدور على الرغم من الحرب المدمرة التي تلف لبنان منذ ثلاثة عشرة سنة..

لن نتكلم عن إنجازات المجلة.. ولكننا سنركز على إنجاز بارز واحد، هو بكل صراحة وبساطة، استمرار صدور المجلة. لقد بدأنا بالصدور في أواخر عام ١٩٧٨ بينما كان عدد كبير من الصحف والمجلات السياسية والثقافية يتوقف عن الصدور أو يهاجر إلى بلد آخر حيث وُفرت له جميع الإمكانات السياسية والمالية.

الحقيقة أن كلمة «الاستمرار» سهلة الاستعمال، ولكن الصعوبة الحقيقية تكمن في التطبيق.. فعلى مدى تسع سنوات عجاف، تعرضت جميع القطاعات في لبنان، وبصورة خاصة القطاع الإعلامي، إلى هجمات عسكرية شرسة، وإلى تدمير ونسف منظم ومدروس لعدد كبير من المؤسسات الصحيفة، مما أدى إلى هجرة الآلاف من الفنيين والاختصاصيين في هذا الحقل. وتركت الحرب اللبنانية بصماتها على كل القلوب وفي كل المناطق والقطاعات بدون استثناء.

وجاء عام ١٩٨٢ وجاءت معه أشرس وأخطر هجمة، تمثلت بالاجتياح الإسرائيلي إلى لبنان واحتلاله أول عاصمة عربية في تاريخ العرب المعاصر مما أدى إلى وضع اللمسات الأخيرة لهذا الانهيار المريع الذي شمل جميع القطاعات.

وادى الاجتياح الإسرائيلي ايضاً إلى دخول لبنان في مرحلة جديدة من الحرب تمثلت بالحرب الاقتصادية التي ادت إلى انهيار الليرة اللبنانية انهياراً كارثياً..

في ظل هذا الواقع المرير والقاسي، استمرت «تاريخ العرب والعالم» بالصدور.. وكان هذا الاستمرار، على الرغم من الصعوبات الأمنية والتقنية والمالية إنجازاً كبيراً بحد ذاته، لأن الاستمرار بحد ذاته، لمجلة ثقافية مستقلة غير مرتبطة بنظام أو بمؤسسة أو بفرد يمولها عمل غير طبيعي في ظل هذه الأوضاع الصعبة.

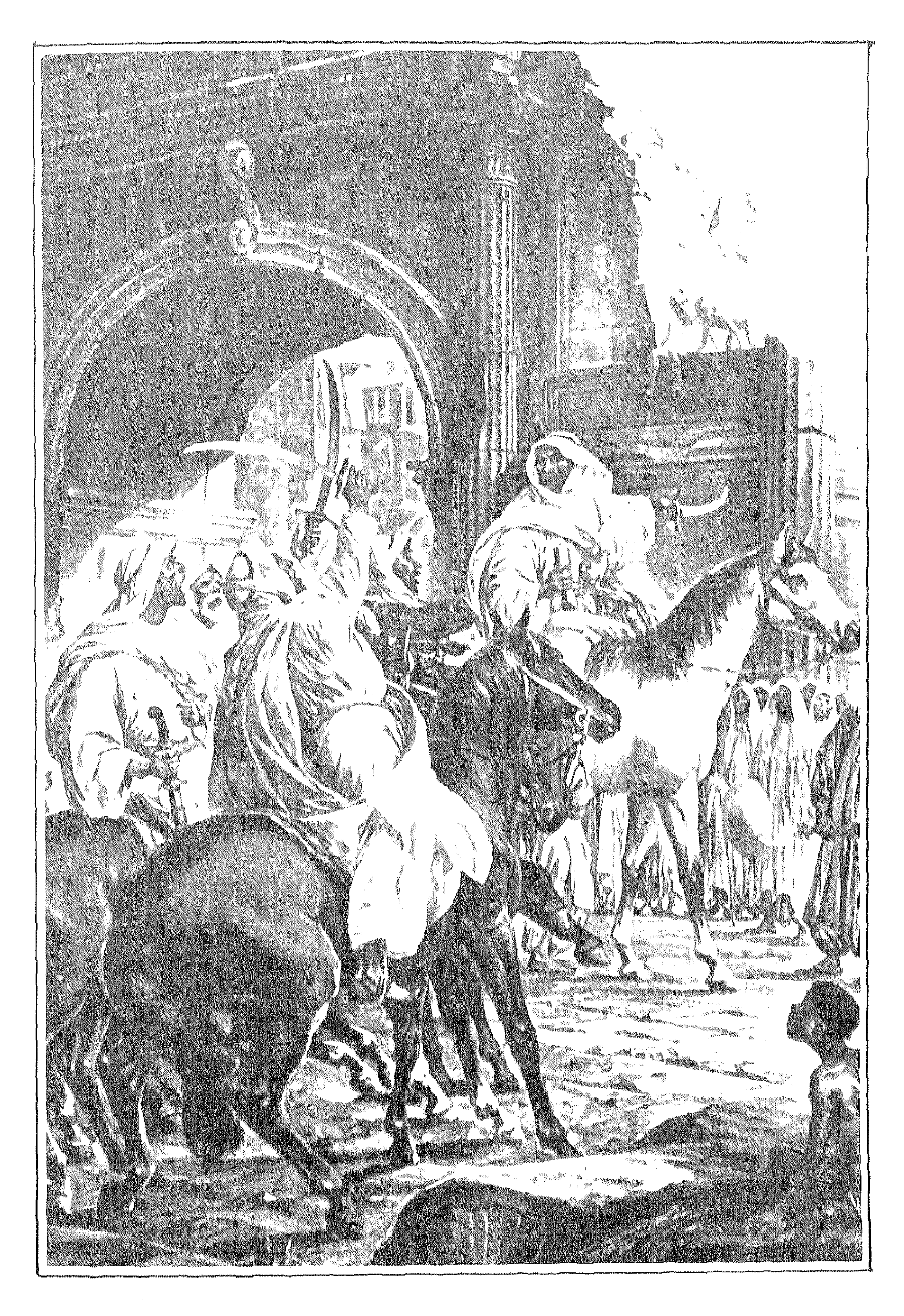
إن الاستمرار ليس سهلاً حين ترتفع أسعار الورق والطباعة ارتفاعاً اسطورياً كل ساعة! والاستمرار ليس سهلاً عندما تحاول ان تستقطب أحسن الكتاب فتصطدم بأن الأتعاب التي تدفعها لهم أصبحت تساوي عشر ما يستطيع أن يربحه هذا الكاتب من مجلة ثقافية أخرى تصدر في الخارج وتمول من الخارج..

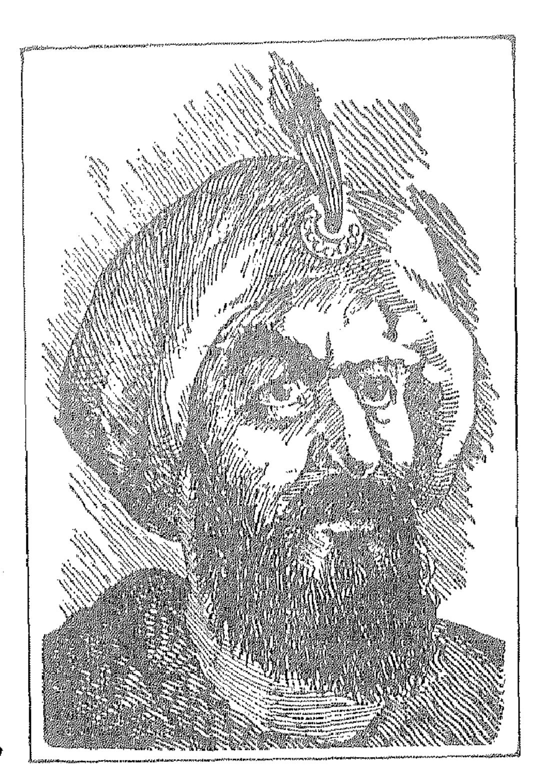
والاستمرار ليس سهلاً عندما يغلق مطار بيروت ولا نعلم إذا كان سيعاد فتحه بعد ساعات أو بعد شهر! العراقيل أكثر من أن تعد أو تحصى تبدأ كما ذكرنا بارتفاع أسعار الورق والطباعة وتنتهي بانقطاع التيار الكهربائي بصورة دائمة..

ولعل أكثر ما يؤلمنا ويضغط على أعصابنا، هو عدم تمكننا من إصدار المجلة بانتظام كما وعدنا القارىء والمشترك..

كان هدفنا، ولا يزال، وسيبقى أن نصمد بوجه هذه العقبات وأن نبقى على سعر المجلة كما هو ولكن تكاليف الإصدار الأسطورية اضطرتنا إلى رفع سعر النخسة الواحدة وإلى رفع قيمة الاشتراك داخل لبنان، الذي لا يغطي تكاليف الأعداد التي تصل إلى المشترك.

واخيراً.. نعد الجميع، وخاصة مشتركينا الكرام، بأن مجلة «تاريخ العرب والعالم» ستواصل المسيرة خلال سنتها العاشرة والسنين المقبلة، إن شاء الله، وهي كلمة ثقة وأمل بموازريها في لبنان وفي كل أنحاء الوطن العربي، الذي من خلالهم تستمد قوتها ودعمها للاستمرار في رسالتها الثقافية.





صلاح الدين الأيوبي.

حطين وعين جالوت في القدس منظور تاريخي

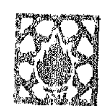
د. محمد عيسى صالحية

اليهود فرق كثيرة منهم السامرة[١] والصدوقية[٢] والعانانية[٣] والربابنة[٤] والعيسوية[٥] والفريسيون[٦] والكتبة (القراءون)[٧] والأسينيون[٨] والهيروديون[٩] وغيرهم.

ولم تعرف مدينة القدس عبر تاريخها حتى القرن التاسع الهجري / السادس عشر الميلادي من هذه الطوائف خلا طوائف الربانيين والقرائيين والسامرة الذين يقيمون في مدينة نابلس وعند هؤلاء أن طور نابلس هو طورسينا، ونابلس هي المدينة المقدسة[١٠].

□ الدكتور محمد عيسى صالحية ـ جامعة الكويت ـ كلية الآداب ـ قسم التاريخ

□ ألقيت هذه الدراسة في «ندوة حطين» التي انعقدت في دمشق في تموز/يوليو ١٩٨٧، بمناسبة الذكرى المئوية الثامنة لمعركة حطين.



تؤكد المصادر اليهودية أنه حتى أواخر القرن التاسع الهجري / السادس عشر الميلادي كان عدد اليهود في المدينة المقدسة محدوداً، فبنيامين التطيلي الذي قام برحلته بين السنوات ٤٦١هـ / ١١٦٥م ــ ٥٦٩هـ / ١١٧٣م، قرر أن عدد اليهود في المدينة كان نحو المائتين، كانوا يقيمون في حي مجاور لبرج داود[١١]، وذكر فتاحية الرتسبوني أو الرجنسبرجي الذي قام برحلته بين السنوات ٥٦٦هـ / ١١٧٠م ــ ٥٨٣هـ / ١١٨٧م عن طريق براغ وبولونيا وكييف والقرم والقوقاز ثم عرج على أرمينيا والموصل فبغداد وإيران وسورية وفلسطين واليونان بأنه لم يكن في القدس حين زيارته إليها إلا يهودي واحد، كان يعمل صباغاً[١٢].

أما الرباني (Samuel ben Samson) الذي ارتحل إلى فلسطين سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م مع ثلاثمئة من يهود فرنسا وانجلترا، بناء على رسالة كان قد تلقاها صموئيل من ملك القدس جون برنار (John du Brienne)، لم يجد في استقباله سوى عشرة من اليهود فقط، هم كل من أدى الصلاة معه فوق جبل الزيتون[١٣].

وذكر الرباني (Moses b. Nahman) في كتابه تفسير التأويل (Biblical exegsis) حين وصل إلى القدس ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م هرباً من اضطهاد الصليبيين في إسبانيا، ووجد بيتاً خرباً بأعمدة مرمرية اتخذها كنيسة للصلاة، و (Nahmanides) أو (Rambam) كما يسمى أيضاً هو يهودي إسباني كان يقيم في برشلونة ثم لجأ إلى القدس بعد طرده من قبل حكام إسبانيا المسيحية حيث أقام في القدس سبع سنوات، بعث خلالها برسالة إلى ولده (Meshullam) وصف فيها أحوال القدس بين السنوات ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م ــ ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، غير أن الرسالة ما زالت نصوصها موضع خلاف الباحثين من اليهود، فالبعض اعتمد الوثيقة التي عثر عليها في مكتبة ميونخ:

Bayerisch Staatsbibliothek, Munich, Cod. Heb 357. Fol 52.

والأخرى التي ادعى البعض أنه وجدها في تل كيسان ــ قرب عكا سنة ١٩٧٢م[١٤]. وجاء في رسالة إيليا الفراري (Elijah of Ferrara) الذي أرسلها من القدس سنة ٨٣٨هـ / ١٤٣٤م، أن عدد العائلات اليهودية في القدس كان لا يتجاوز ١٥٠ عائلة فقط[١٥].

كما أن الرباني (Meshullam ben. Menahem) الذي رحل إلى القدس سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م، ذكر أنه كان يقيم في القدس عند زيارته لها مائتان وخمسون عائلة يهودية من مجموع سكانها البالغ عددهم عشرة آلاف عائلة[١٦].

وحين زار الرحالة النصراني فيلكس فابري (Felix Fabri) المدينة سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م قدر عدد اليهود بالقدس ما بين مئة إلى مئة وخمسين عائلة فقط[١٧] أما الرباني (Obadiah Jare. b. Abraham) الذي رحل من مدينة (Bertinoro) بإيطاليا ووصل إلى القدس في ٢١ جمادى الأولى ٨٩٤هـ / ٢٥ مارس ١٤٨٨م ومن ثم أصبح رئيس الطائفة اليهودية في القدس ــ وصنف هناك تعليقاً على المشناة عرف باسم (Bertinoro) فقد ذكر في وثيقة مكتوبة ومنشورة أن في القدس سبعين عائلة يهودية فقيرة من أصل أربع آلاف عائلة كانت تقطنها آنذاك، وأضاف (Obadiah) بأن معظم العائلات اليهودية كانت من النساء، بحيث تكون نسبة الإناث إلى الرجال كنسبة ١:٧[١٨]. وكان (Obadiah) قد أرسل بين السنوات ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م ــ ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م ثلاث رسائل من القدس إلى أقاربه في إيطاليا وصف بها حال اليهود في المدينة المقدسة، وتحدث عن (Zekenim) الذي كان يعمل قيماً على أملاك اليهود في المدينة إضافة إلى عمله كجامع للضرائب[١٩].

وكان عدد اليهود في القدس حسب رواية أحد تلاميذ (Obadiah) حوالي مائتي عائلة، وذلك في سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م[٢٠].

وقد قدر مجير الدين العليمي، صاحب الأنس الجليل، الذي فرغ منه سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م، عدد اليهود بالمدينة المقدسة هو خمسمائة فقط، وهذا العدد يتفق وما أورده تلميذ (Obadiah)[٢١].

وحتى لو تجاوزنا عددهم في العهد المملوكي إلى العهد العثماني وبالذات في سنة ٩٨٠هـ /

١٥٧٢م فإن عددهم لم يتجاوز في القدس أكثر من ١١٥ شخصاً حسب ما جاء في وثيقة عثمانية ذكرت في السجل رقم ٥٥ ص ٢٠٧، تاريخها ١٩ جمادى سنة ٩٨٠ (دفاتر الإحصاءات: Tahrir Defteri)! (محفوظة في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول) ومجمل الوثيقة أن يهود القدس قد شكوا إلى دفتر دار ولاية الشام من الضرائب المفروضة عليهم، وأنهوا إليه بأن عددهم أقل مما هو مسجل في دفتر التحرير السابق، حيث ذكر في الدفتر السابق بأن عددهم ١٧٥ نفراً، خصصت جزية ٩٠ نفراً لجهة الخاص الشريف وجزية ٨٥ نفراً لجهة القدس الشريف. وبناء على ذلك فقد جرى إحصاء جديد لهم بتفتيش شاف وتحرير كاف بإشراف أمين الخراج، وتبين أن عددهم ١١٥ شخصاً. خصصت جزية ٦٠ نفراً لجهة الخاص الشريف، وجزية ٥٥ نفراً لجهة القدس الشريف، وكتب بذلك محضر، سجلت فيه أسماء الـ ١١٥ يهودياً وشهد على المحْضر القاضي شرف الدين والقاضي عماد الدين ومحمد بن موسى وغيره[٢٢].

لعلي لا أبالغ حين أقرر بأن الارتباط الروحي والمادي بالمدينة المقدسة كان لا يشكل عقيدة عند اليهود، ولا شيئاً مهماً في تاريخ اليهود، بل أن العبارة المشهورة: «إن نسيتك يا أورشليم فلتقطع يدي اليمنى من جسدي وليلصق لساني بسقف حلقي». ما كانت إلا أمنية صليبية، أدعيت من قبل اليهود في العصر الحديث ووردت في كتاب لسترانج، فلسطين تحت الحكم الإسلامي، وما عرفها اليهود قبل ذلك[٢٣].

ويعلل (Benjamin Z. Kedar) سبب قلة عدد اليهود في المدينة، بأنه يعود لإجراءات الصليبيين الذين لم يسمحوا إلا لعدد قليل من اليهود بالإقامة بالمدينة[٢٣]، غير أن رسالة جون برنار (Gohn du Brienne) إلى صموئيل التي أشرنا إليها سابقاً تقلل من أهمية هذا العامل، فقد تضمنت الرسالة طلب الملك الصليبي إلى صموئيل بأن يحض يهود فرنسا وانجلترا على الرحيل إلى فلسطين، وهو (أي الملك الصليبي) سيضمن لهم الحماية وطيب الإقامة[٢٤].

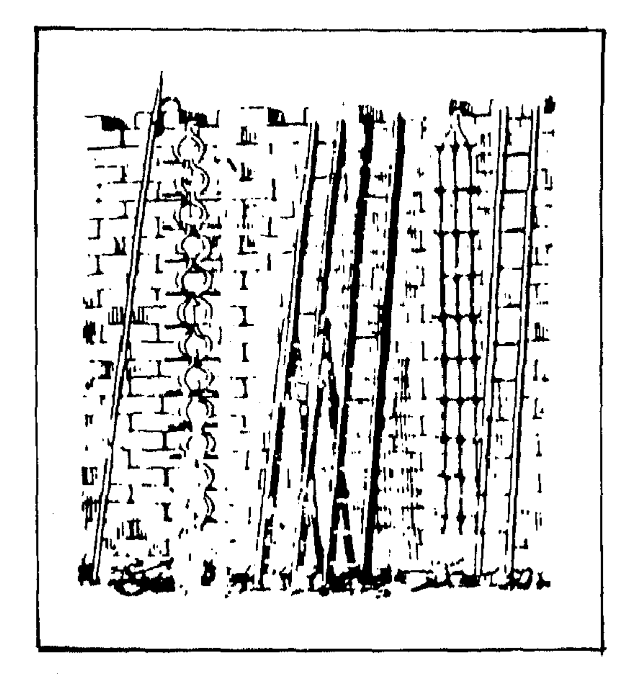
ولعل في نجاح الهجمة التترية على البلاد الشامية سبباً معقولاً في دفع سكان المدينة عموماً إلى هجر مدينتهم هربا من التتار، وكان اليهود الأسرع في الهرب من المدينة طلباً للنجاة[٢٥]، هذا علاوة على الأمراض والطواعين التي كانت تجتاح البلاد وتخيم في القدس مدداً طويلة[٢٦].

وعلى الجانب الآخر فإن عدداً من الباحثين أمثال (Marchall W. Baldwin)[٢٧]، و (Grousset)[٢٨]، وغيرهم ذكروا أن الشاعر يهوذا بن سليمان الحريري الطليطلي (عاش ١١٧٠م ـــ ١٢٣٠م)، الذي نقل العديد من الكتب العربية إلى العبرية، وصاحب مقامات الحريري، والذي زار مصر وفلسطين والشام والعراق سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م قد أخبر بأن صلاح الدين الأيوبي قد سمح لليهود بالسكنى في المدينة وذلك بعد أربع سنوات من تحريرها سنة ٥٨٣هـ / ١١٧٨م، وقد التقط عدد من الباحثين اليهود أو المتعاطفين معهم هذه، المقولة، وعلى الأخص (Ashtor)[٢٩]، و (Kedar)[٣٠]، و (John M. Oesterreicher)[٣١] وردد هذه المقولة من الباحثين العرب. عاشور[٣٢]، وغوانمة، وكأنها حقيقة مسلم بها، وقد رجعت إلى نص المقامات التي نشرها البروفسور (Hirschfeld) والذي ساعده الحظ بالعثور عليها ضمن مقتنيات (Taylor) المحفوظة في كمبردج، والتي وجدت أصلاً في مخطوط هُرِّب من القاهرة، كان قد عثر عليه في مدينة الفسطاط، فلم أجد ذكراً للخبر، وكل ما ورد فيه هو:

«To wards the Marshall W. Baldwin Jews Saladin's attitude was less consistent. In Jerusalem he apparently encouraged Jewish immigration Perhaps hoping that they would prove valuable allies in the event a new Crusade».

وترجمته بالعربية «وبالنسبة لليهود فإن سياسة صلاح الدين كانت أقل تشدداً، ويبدو أنه شجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين، لأنه ربما كان يأمل بأنهم سيقدمون مساعدة ضد الصليبية الجديدة»، ولم يسند (Baldwin) الخبر إلى أي راو، بل وقف عند ما ذكره.

وللحقيقة نقول إن هذه المقولة لا تدعمها روايات الرحالة من اليهود حتى من نسبت إليه. فلم يذكرها إسحاق بن يوسف بن شيلو الذي



□ سلالم اقتحام

وصل إلى المدينة سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م، ولا إيليا الفراري الذي ذكرناه سابقاً والذي كان في المدينة ٦١٥هـ / ١٢١٨م، ولا مشالوم ابن مناحيم الذي زار المدينة ثلاث مرات بين السنوات ٨٨٦هـ / ١٤٨١م — ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م، ولا غيرهم، وحتى الباحث اليهودي (Menashe Harel) قرر أن اليهود لم يستجيبوا لدعوة صلاح الدين بالسماح لكل من شاء بسكنى القدس، ولكنهم استجابوا لدعوة ناحوم التي كانت سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، بعد بنائه معبد ناحوم في المدينة فوصلت جماعات منهم بناء على دعوة ناحوم، وليس بناء على أمر صلاح الدين الأيوبي.

ومن ناحية أخرى فقد بالغ البحاثة من اليهود في ذلك فأشاعوا أن جماعات يهودية أخرى وصلت من المغرب وفرنسا ومن الأقطار الإسلامية المحيطة بفلسطين، وسكّنت في القدس، مستندة إلى أمر صلاح الدين الأيوبي بالسماح لهم بالإقامة في المدينة، وبخاصة بعد تخريب مدينة عسقلان وهدم أسوارها سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م «وأضاف هؤلاء أن الوجود اليهودي قد اختفى من المدينة عندما عاد الفرنجة إليها سنة ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م، فلم يكن في القدس خلا تاجر من بلبيس نجح في إقناع الصليبيين بالسماح لليهود بزيارة المدينة، وعمل على إبقاء دباغ يهودي في القدس ليخدم تجارته[٣٤]، ولكن بعد هزيمة الصليبيين النهائية سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٢م، أصبح من الميسور على اليهود الإقامة في المدينة، حتى إذا ما وقع الغزو التتري سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م غادرها اليهود، مولين الأدبار، وحتى دروج التوراة فقد هُرِّبت إلى مدينة نابلس، وخلت المدينة من اليهود إلى أن وقعت معركة عين جالوت في نفس السنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، وتخلصت وتطهرت المدينة من الأطماع الأجنبية، واستقرت فيها الأحوال، ويعزو البعض ذلك إلى المرسوم الذي أصدره جقمق في أول عهده، فقد رسم جقمق سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م، ببطلان جباية الرؤوس من اليهود بطريقة جماعية، وتؤخذ من كل فرد على حدة[٣٥]، فبدأت جماعات يهودية تعود إلى المدينة من إسبانيا المسيحية وانجلترا وإيطاليا وألمانيا والبرتغال، هاربة من الاضطهاد الصليبي ولائذة بحمى الإسلام في ديار السلام غير أن الموسوعة اليهودية تقرر بأن المماليك راقبوا التسلل اليهودي إلى المدينة فلم يسكنها إلا عدد قليل من اليهود طوال العهد المملوكي[٣٦].

وإجمالاً، فإن اليهود سكنوا حارة في جنوب المدينة على مقربة من جبل صهيون. وجعلوا من معبد ناحوم (Nahman) مقراً لعبادتهم»[٣٧].

وجرت العادة بأن يطلق على زعيم اليهود لقب رئيس الطائفة اليهودية ومقره إما في مصر أو في الشام، وله سلطات تشريعية واسعة، إذ أنه يشرف على شؤون الطوائف الثلاث في بداية عصر المماليك على الأقل، كما ينظم علاقات الطائفة مع الدولة، وله حق أن يعين من يليه في درجات السلك الكهنوتي حسب شروط الدين اليهودي فيوقع العقوبة على المخالف[٣٨].

واشترطت الوثائق المملوكية فيمن يتولى رئاسة اليهود أن يكون من أكابر الكهنة وأعلم الأحبار، متميزاً بحسن أخلاقه ونزاهته، ويكون عارفاً بكتب اليهود وشرائعهم.

ويليه في المرتبة الحزان[٣٩] والشليمصبور[٤٠] والحبر[٤١]، وقد ذكر ابن العربي في رحلته إلى الشرق، أنه كان يفاوض الكرامية والمعتزلة والمشبهة واليهود في القدس، وأن اليهود كان لهم

في القدس حبر يسمى بالتستري[٤٢].

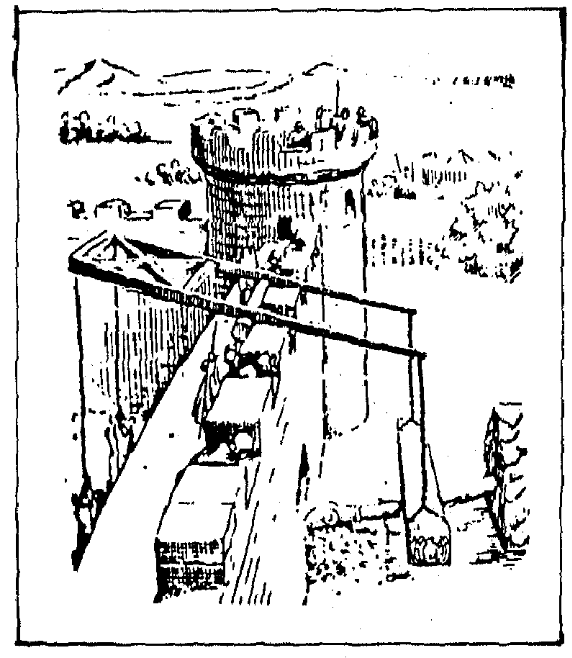
ومن الجدير بالذكر أن نواب السلطنة المملوكية هم الذين تولوا إصدار المراسيم بتعيين زعماء اليهود دون السلطان وذلك لزيادة حقارتها عن الوظيفة وبعدها عن الحضارة السلطانية، ويُعَنْوَن المرسوم بلقب «زعيم الطائفة» كأن يكون موجهاً لرأس الكهنة أو «أعلم الأحبار» أو «رئيس اليهود القراءيين والربانيين والعوام والسامرة»، أو «رئيس اليهود عامة»، غير أنه في الفترة المتأخرة من العصر المملوكي صار للسامرة «رئيس خاص بهم» دون سائر الطوائف اليهودية الأخرى»[٤٣].

ونظراً لقلة أعداد اليهود المقيمين في القدس فقد اكتفى رئيس الطائفة في الشام بتعيين حبر (ربان) لمعبد ناحوم الذي كان قد بناه ناحوم بعد سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م وحبر آخر لمعبد الرام ليرأس احتفالات اليهود هناك في ٢٨ مايو من كل سنة[٤٤].

وفي النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي كان الحبر (الربان) يونان الأكبر (Jonas the elder) هو المتولى لمعبد القدس، وفي زمنه اشتعلت ثورة اليهود القرائيين ضد اليهود الربانيين لأسباب دينية[٤٥].

وخلت الوظيفة في معبد القدس لمدة قرنين من الزمان، بسبب الأحداث التي لفت فلسطين في عهد الغزوين الصليبي والتتري، حتى إذا كان النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي كان الربان (Abraham Yaari) الصباغ حبر المعبد، وإليه ينسب ترميم معبد اليهود على جبل الزيتون الذي كان مبنياً من رخام المرمر الأحمر والأخضر والمزركش، ويفهم من المصادر اليهودية أن (Yaari) كان قد قدم رشوة باهظة للحاكم المملوكي دون أن يذكر اسمه أو مكان ولايته حتى سمح له بالبقاء في القدس وتقلبه لتولية المنصب[٤٦].

ومن الذين تولوا منصب الحبر في القدس الربان صموئيل بن شمسون (شمشون) (R. Samuel ben Samson) أيضاً، الذي تولى وظيفة الحبرية سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م. وكذا الرباني حايم (Haim) الذي كان حبر القدس سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م وكذا الرباني يوسف

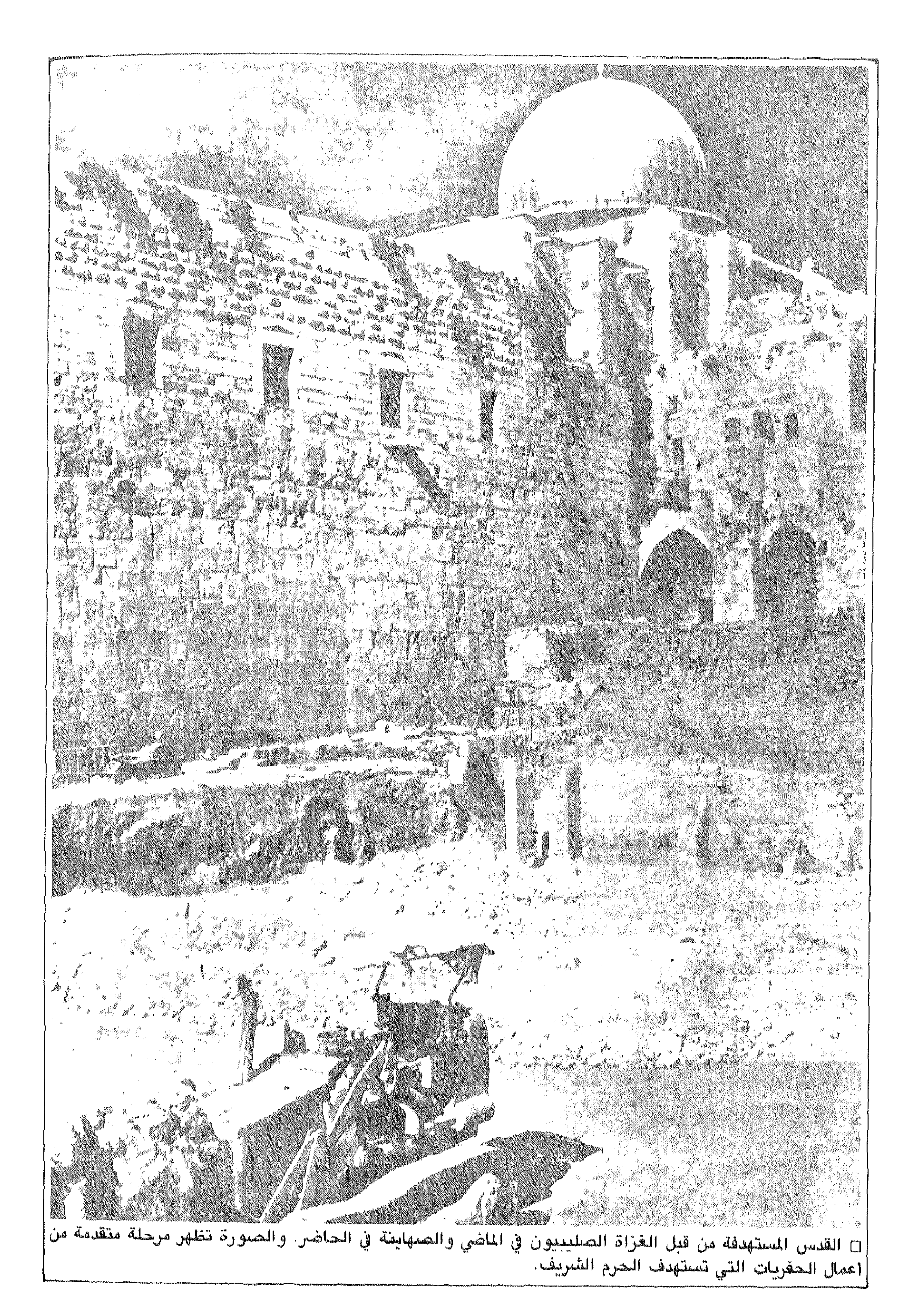


□ رافعة لكسر رأس كبش يثقب ثغره في السور

الذي تولاها بعده.

ومنذ أواخر القرن الرابع عشر الميلادي أطلق على زعيم اليهود في المدينة المقدسة لقب «رئيس الطائفة» وتولاها إسحاق هليفي (Issac haLevi-Asir Akatikvah) الذي كان قد وفد إلى المدينة مع عدد من اليهود الأسبان والألمان[٤٧]. غير أن المصادر اليهودية الأخرى لا تعضد رواية الموسوعة اليهودية حوله. وإنما تؤكد الوثائق اليهودية بأن الربان (Obadiah Jare b. Abraham) هو أول من تولى رئاسة طائفة اليهود في المدينة. وكان ذلك سنة ٨٩٤هـ / ١٤٨٨م، وكان (Obadiah) ذا معرفة واسعة وسمعة حسنة، وله تأثير على اليهود في القدس وقد انفرد (Obadiah) برئاسة اليهود بعد رحيل (Nathan Sholal) إلى القاهرة حيث أصبح رئيس الطائفة اليهودية هناك[٤٨].

ومن ناحية أخرى، فقد تولى الربان (Issac Sholal) رئاسة كافة الطوائف منذ سنة ٩٤١هـ / ١٥٤٤م، ولكنه كان يتخذ من القاهرة مركزاً له، ثم ما عتم أن ترك القاهرة بعد استقرار الوجود العثماني في الوطن العربي وانتقل إلى القدس، و (Sholal) هذا هو الذي نشر القوانين المحلية اليهودية (Ordinances)، وكذا القوانين الخاصة المتعلقة بتحقيق الرفاه لليهود (takkanol) وهذه



□ القدس المستهدفة من قبل الغزاة الصليبيون في الماضي والصهاينة في الحاضر. والصورة تظهر مرحلة متقدمة من اعمال الحفريات التي تستهدف الحرم الشريف.

الأخيرة كان (Sholal) قد اقتبسها من كتاب الربان (Moses Basla's) المسمى بكتاب السفر[٤٩].

هذا وقد درج نواب سلاطين المماليك على إصدار التقاليد بتولي رئاسة اليهود، ففي ربيع الآخر سنة ٦٨٤هـ / ١٣ يونيو ١٢٨٥م، صدر مرسوم يقضي بتولي الشيخ المهذب أبو الحسن ابن الموفق بن المنجم بن المهذب بن الحسن بن سموييب المتطبب رياسة اليهود على سائر طوائفهم الربانيين والقرائيين والسامرة ولكن في مصر، وكتبه ابن المكرم، كاتب الدرج آنذاك[٥٠]. ويستفاد منه أن التعيين جاء استجابة لرغبة الطوائف الثلاث في إقامته رئيساً للطائفة.

وبالرغم من تشدد السلطنة المملوكية في مراقبة رؤساء وأحبار اليهود لإنصاف رعاياهم وحفظ أموالهم، وعدم إرهاقهم بطلباتهم المتكررة، إلا أن ربانية اليهود ورؤساء طائفتهم في القدس، كانوا يستغلون الطائفة لتحقيق مكاسب شخصية لهم، بل ولا يتورع رؤساء اليهود وأحبارهم عن إيقاع الأذى بأفراد الطائفة دون وجه حق. فكان بعض هؤلاء الرؤساء سبباً في تردي حالة اليهود الاقتصادية، بل وإشعال الفتن بينهم، فرسالة يوناح الزعيم الأكبر (R. Jonah the elder) إلى إخوانه في الخارج، تخبر عن ثورة القرائيين ضد الربانيين، ولأنه يطلب الدعم المالي، فإنه يقول: «إن الحياة هنا قاسية، وفرص العمل محدودة، والضرائب مفرطة باهظة»[٥١].

وقد بينت رسائل رئيس الطائفة (Obadiah Jare b. Abraham) أي ظلم لحق باليهود من قبل رؤسائهم، إذ ذكر أن سلفه كان قد باع الساحات والبيوت التي كانت تعود ملكيتها إلى معبد ناحوم، والتي كانت تتخذ سكناً لأرامل الاشكناز في المدينة، ولم يبق منها إلا ساحة واحدة لا تكاد تكفي لأولئك الأرامل.

ويضيف (Obadiah) في رسائله، أن رؤساء الطائفة السابقين غالوا في فرض الضرائب على اليهود، وكانوا ظالمين في أحكامهم، لذا كانوا يفرضون ضرائب جديدة في كل أسبوع على أفراد الطائفة في القدس، وكل من لا يدفع يسلط عليه غير اليهود حتى يدفع[٥٢].

معاملة اليهود في المدينة

نظمت الشروط العمرية أحكام أهل الذمة والمستأمنين في دار الإسلام، وحرص أولو الأمر على مراعاتها وتطبيقها وفق ظروفهم، فتارة تكون الرقابة شديدة والتنفيذ صارماً، وطوراً تكون الرقابة رخوة، فلا يتقيد أهل الذمة والمستأمنين بأحكام[٥٣] عقد الذمة.

والأصل أن تعقد الذمة لليهود والنصارى لأن لهم كتاب، وتعقد لمن له شبهة كتاب كالمجوس والصابئة والسامرة[٥٤]، إن وافقوا أهل الكتاب في العقائد.

وعقد الذمة يكون بأن يقر الحاكم أو يأذن لأهل الذمة بالإقامة في ديار الإسلام على أن يبذلوا الجزية وينقادوا لأحكام الإسلام، ولا بد من شرط قبول أهل الذمة بذلك، وإذا ما عقد السلطان الذمة مع قوم، وجب أن يكتب أسماءهم وخلالهم وأنسابهم وأديانهم، ويجعل على كل طائفة منهم عريفاً يضبطهم ويعرف من مات منهم أو من أسلم أو غاب أو قدم أو بلغ سن الرشد، وعلى العريف أن يحضرهم عند أداء الجزية[٥٥].

ويتضح من المصادر المملوكية المعاصرة أن اليهود كانوا يستخدمون في المناصب الديوانية، فقد ذكر المقريزي أن أهل الذمة في مصر «... قد تزايد ترفهم بالقاهرة ومصر، وتفننوا في ركوب الخيل المسومة والبغلات الرائعة بالحلى الفاخرة، ولبسوا الثياب السرية وولوا الأعمال الجليلة»[٥٦].

وتنبهت السلطنة إلى مخاطر استخدام اليهود في مناصب تتصل بتنظيم المجتمع وخاصة حصر الإرث والجزية والخراج، فأصدر السلطان المملوكي الأشرف خليل في شعبان ٦٨٩هـ / يوليو ١٢٩٠م مرسوماً طلب فيه من الولاة والمتصرفين والمباشرين ألا يستخدم أحد من أهل الذمة والنصارى في شيء من المباشرات الديوانية، فصرفوا عنها في كل الولايات[٥٧] ومنها القدس بطبيعة الحال وقد وضع محمد بن علي بن النقاش المشهور بأبي أمامة سنة ٧٧٣هـ، رسالة تحت عنوان «المذمة في استعمال أهل الذمة في الكتاب عند الأمراء وفي جباية

الأموال، محفوظة في دار الكتب بالقاهرة تحت رقم ١٣١٥ تاريخ.

ثم كان أن زار أحد الوزراء المغاربة مصر، وهو في طريقه لأداء فريضة الحج، ولما عاين أحوال اليهود بمصر، وهاله ما رآه من تمتعهم بلبس أفخر الملابس وركوبهم أفره السروج وعلو منازلهم، بادر الوزير بالاجتماع إلى الناصر بن قلاوون ونائب السلطنة سيف الدين سلار، وبالأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وتحدث معهم جميعاً في شأن اليهود والنصارى في ديار الإسلام، وضرورة أخذهم بالشروط العمرية، ووصف لهم حال يهود ونصارى المغرب فيهود المغرب يلبسون الثياب الزرقاء ذوات الأكمام المفرطة السعة، والتي تصل لقرب أقدامهم، وبدلاً من العمائم فإنهم يلبسون كلوتات على أشنع صورة كأنها البراذيع، تبلغ إلى تحت آذانهم ومن ثم استبدلت بثياب صفر وعمائم صفر، ومنعوا من تعمير الكنائس والبيع، ولا يركبون سرجاً، بل ويراقبون مراقبة شديدة[٥٨] ونتيجة لتدخل هذا المغربي فقد رسم السلطان سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م بأن يلبس اليهود والنصارى عمائم مختلفة الألوان، فألبس اليهود العمائم الصفر والنصارى العمائم الزرق والسمرة العمائم الحمر[٥٩].

وتعددت المراسم السلطانية التي صدرت طوال عصر المماليك بشأن تطبيق الشروط العمرية على أهل الذمة بما فيهم اليهود، ففي سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م ألزم اليهود بركوب الحمير على المعوج[٦٠] وعاد مرسوم السلطان الصادر ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ليؤكد على عدم جواز استخدام اليهود والنصارى في أي ديوان من دواوين الدولة وأن تكون عمائمهم عشرة أذرع، وألا يركبوا مع مكاري مسلم، وإذا مروا بالمسلمين ينزلون من على الحمير، ويظهروا المسكنة، وأنهم لا يدخلون الحمام إلا بخاتم من رصاص أو نحاس في أعناقهم[٦١].

وقد جددت هذه الشروط خلال السنوات ٧٨٢هـ[٦٢] و ٧٩٦هـ[٦٣] وفي سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م جددت الشروط بشكل صارم، حيث رسم السلطان (سيف الدين جقمق) بعقد مجلس بحضرته، دعا إليه القضاة الأربعة وغيرهم من مشايخ الإسلام كالأمين الأقصرائي وأركان الدولة من المباشرين وغيرهم، وأحضر إليه مؤنس بطريرك النصارى اليعاقبة وفتلوناوس، بطريرك النصارى الملكيين، وعبداللطيف من طائفة اليهود الربانيين، وفرج الله، أحد مشايخ اليهود القرائين، وإبراهيم كبير طائفة اليهود السامرة، وأشهد رؤساء أهل الذمة على أنفسهم، أن كلاً الزم شرعياً، بأن لا يجدد في كنيسة ولا في دير ولا في قلاية ولا في صومعة ولا في بيعة، مما هو في ديار الإسلام، لا بنفسه ولا بمن يستعين به ولا غيره، ولا يرم ما خرب أو تغيب من جدرانها وأخشابها وغير ذلك، ولا يدفع لمسلم خمراً وإن وقع فللسلطان حق تخريب جميع تلك الكنيسة أو الدير أو الصومعة أو القلاية[٦٤] التي تتجاوز الشروط العمرية.

ويمكن أن نستنتج من تعدد صدور تلك المراسيم، بأن الشروط العمرية لم تكن متبعة بدقة، ولم يلتزم بها اليهود والمسيحيون على الدوام، مما جعل الدولة تصدر المراسيم المتتالية لذلك، وغالباً ما يكون صدورها ضمن حملة عامة تنفذ ضدهم فرضتها علاقة بعض سلاطين المماليك مع ملوك الفرنجة السياسية والاقتصادية[٦٥].

ولعله من نافلة القول، بأن الإجراءات التي يرسم بها في القاهرة يلتزم بها في كافة أنحاء السلطنة المملوكية بما فيها القدس، حتى وإن لم تذكر في المصادر والوثائق، فهذه مراسيم تحمل طابع الشمولي، لأنها موجهة لكل النواب والمتصرفين والمباشرين في كل أنحاء السلطنة، وأما في القدس، فتقرأ في وثيقة مملوكية مؤرخة في ٢٦ جمادى الأولى ٧٩٦هـ. إن قاضي القدس قد أخذ التعهدات على ثلاثة من الجزارين اليهود، بألا يذبحوا الذبائح إلا لأنفسهم ولا يبيعوا ذبائحهم إلا لليهود، ذلكم أنهم لا يذكرون اسم الله على الذبائح، وألزم اليهود الثلاثة بدفع عشرة آلاف درهم لإعمار قناة الحرم الشريف إن هم خالفوا ونقضوا ما تعهدوا به[٦٦].

ومن ناحية أخرى، فقد ثارت مسألة بين اليهود والمسلمين في المدينة المقدسة ٨٧٩هـ، وسببها قيام اليهود بتجديد كنيس لهم في القدس بدعم من السلطان المملوكي، فما كان من مسلمي

القدس إلا الاعتصام عصبة واحدة، وأنهوا إلى شيخ الإسلام أمين الاقصرائي وشمس الدين الجوجري وزين الدين الابناسي، بأن الكنيس محدث، ولذا يتوجب هدمها، فهدمت وسعى اليهود لدى السلطنة لاستصدار مرسوم بإعادة إعمار الكنيس، وكان أن ضرب السلطان جماعة ممن أفتوا بالهدم وغربهم عن المدينة، بحجة سرعة تنفيذهم لهدم الكنيس بغير إذن سلطاني شريف، ثم انتهز السلطان سيف الدين قايتباي مناسبة صعود القضاة ومشايخ العلم للحضرة السلطانية للتهنئة بشهر رمضان، وعقد مجلساً بسبب كنيس اليهود، لكنه وقع الخلاف بين القضاة ومشايخ العلم وكثر الخبط في المجلس وانفض على غير طائل فما كان من السلطان إلا أن رتب مجلساً آخر في دار يشبك الدوادار، حضره القضاة الأربعة ومنهم ولي الدين الأسيوطي الشافعي[٦٧]. وفي هذا المجلس أجبر القاضي شهاب الدين بن عبية على التراجع عن حكمه السابق الصادر منه في القدس الشريف. وأفتى العلماء من الشافعية والحنفية بمصر بجواز إعادة بناء الكنيس وكان قاضي الجماعة بالغرب، المالكي، شهاب الدين القلجاني، من أشد المتحمسين لتمرير الفتوى. وقد قوبلت الفتوى بالسخرية من الناس، فقال أحدهم فيها:

تفتي بعود كنيس وذاك منك جهلا
وتدعي فرط علم والله ما أنت إلا[٦٨]

لقد كان لليهود نفوذ في الدولة المملوكية، يعيشون في سعة ورخاء ورسائل الرحالة من اليهود خاصة، تؤكد بأن يهود القدس، كانوا ينعمون ببحبوحة من العيش، آمنون مستقرون في ظل الرعاية المملوكية. بل إن بعض سلاطين المماليك بلغوا حداً في التوسعة عليهم، وتجاوزوا الشروط العمرية وغضوا النظر عن ضرورة إلزام اليهود بها، فأذنوا لهم بمراسيم اشتراعية بإعادة تعمير كنسهم على غير هيئتها السابقة وقد صور الرحالة (Isaac ben Joseph ibn Chelo) الذي وصل القدس سنة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م، حال اليهود فقال «إن اليهود في القدس يعيشون في سعادة وراحة، ويمارس كل واحد منهم عبادته بكل حرية، والسلطة الحاكمة عادلة وعظيمة، دام عزها وبقاؤها، ولتبلغ ذروة مجدها»[٦٩]، ويضيف (Isaac) «بأن يهود المدينة أثرياء لاشتغالهم بالتجارة في كل شيء، ولهم حوانيت ودكاكين ممتازة»[٧٠].

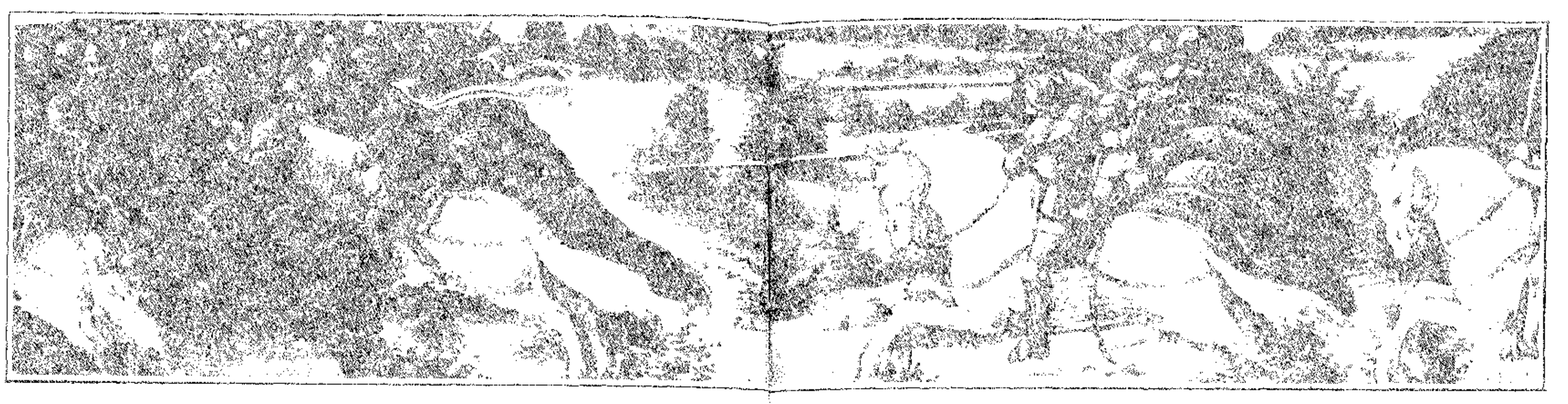
وكان الرباني (Obadiah Jare)، أكثر إيضاحاً في وصفه لحال اليهود في القدس، فذكر «أن اليهود ليسوا مضطهدين عند العرب ولقد سافرت في جميع أنحاء فلسطين طولاً وعرضاً، ولم يعترض طريقي أحد لأن عرب فلسطين لطفاء وكرماء مع الأغراب، وخاصة مع الذين لا يعرفون لغتهم»[٧١].

وقرر (Obadiah) بأن العرب الفلسطينيين إذا ما رأوا اليهود مجتمعين مع بعضهم، فإنهم لا يتأثرون لذلك ولا ينزعجون، حتى لو قدر لأحد اليهود أن يبرز في العلوم، فمن السهل عليه الارتقاء لمنصب رئيس العرب واليهود في العلوم، فالوظائف يتولاها من كان مستحقاً لها دون الالتفات إلى دينة وطائفته وبلده[٧٢].

وحول الادعاءات التي كان يثور الجدل بشأنها في أوروبا، والمتصلة بالإفراط في فرض الضرائب على اليهود المقيمين في القدس أو الحجاج، ذكر (Obadiah) بأن اليهود الذين يقيمون في القدس يدفعون ٣٢ قطعة دراهم معاملة فقط عن كل رأس، جزية، تؤخذ من الغني، والفقير القادر على العمل، وتفرض على كل بالغ[٧٣].

وذهب (Obadiah) إلى أن رؤساء اليهود هم الذين يتفننون في فرض الضرائب على اليهودي كل أسبوع، وبين أن مبلغ الـ ٥٠ دوكاة، وهو مبلغ كبير نسبياً إنما يفرض على اليهودي الذي يصنع الخمور ويتاجر بها، وتدفع هذه الدوكات الخمسين كغرامة تأديب، حيث أن شرب الخمور محرم عند المسلمين[٧٤].

وعلى صعيد آخر، فإن اليهود المقيمين في المدينة احتفلوا بأعيادهم الدينية بكل حرية. فقد كانوا يجتمعون في يوم ٢٨ مايو من كل عام عند كنيس الرام حيث يرقد أحد أنبيائهم صمويل حسب اعتقادهم[٧٥].



□ القوات الصليبية بعد فشل الحملة الثانية على القدس.

كما كان اليهود يمارسون احتفالاتهم على جبل الزيتون بكل حرية أيضاً في شهر تشرين الأول بل وإن السلطنة المملوكية وفرت المساكن للحجاج للمبيت على جبل الزيتون(٧٦).

ويحتفل اليهود أيضاً عند قرية ميرون من عمل الزنار من صفد في منتصف أيار/مايو من كل عام حيث يتجمعون عند ناوس ماء يرشح، ويحملون ماءه لتبرك به(٧٧).

لقد راعت سلطنة المماليك عقد الذمة لليهود، وقدمت لهم الحماية والرعاية دونما إرهاق ضرائبي، وكانت بلاد الإسلام مفتوحة لليهود ليجدوا الأمن والسلام، ولكنهم ما كانوا إلا ناكرين.

«وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولَتَعْلُنَّ علواً كبيراً»(٧٨).

«خطبة توقيع رئيس اليهود القرائين والربانيين والعوام والسامرة كما وردت في مخطوط «قلائد الجمان في مصطلح مكاتبات أهل الزمان» لأحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، والمحفوظ في المكتبة البريطانية رقم ( ) ورقة ١٠٦ ب».

أما بعد، حمداً لله على نعمه التي ما زالت تعم من الطوائف على كل امة، وتوردهم مناهل الارزاق مع اختلافهم، ومسبل عليهم ستر الموهبة وذيل النعمة، وتلبسهم ملابس الأمن المعهود من عهد أهل الذمة.

ولما كان أهل الذمة اليهود، قد لاذوا بخدمة هذه الدولة الشريفة وتفيئوا بظلالها المنيفة، وحث الشرع المطهر على دفع مضارهم وحملهم على عهدهم الذي سبب صيانتهم واستقرارهم، تعين النظر في مصالحهم وإجرائهم على قواعدهم في إقامة رئيس عليهم من أكابرهم وأصلحهم، ورغب اليهود الربانيون والقراءون والسامرة في إقامة الحكيم الأوحد الرئيس المحترم الخادم الأمين ــ مهذب الدولة، بقية الملوك والسلاطين، إبراهيم بن الرئيس الأوحد سعد الدولة، داود بن الرئيس الكبير، أبو المنى بن موسى الهمه الله تعالى رشده، رئيساً عليهم لينظر في أحكامهم، ويتولى أمورهم وأمور أيتامهم بمقتضى شريعتهم في حفظ ناموسهم، وإطابة خواطرهم ونفوسهم.

فلذلك رسم بالأمر الشريف، أسبغ الله به النعمة وأجزل فضله وإحسانه على كل امة، أن يستقر الرئيس الأوحد المذكور أعلاه في رياسة اليهود الربانيين والقرائيين والسامرة بمصر والقاهرة المحروسة وثغر الإسكندرية المحروس، وجميع بلاد الديار المصرية ــ حرسها الله تعالى ــ لا يخرج أحد عن أمر مهم من صغير ولا كبير ولا يتعداه من معروف ولا مشكور ولا جليل ولا فقير ولا ذو جاه للسلطان ولا بأمير وسبيل، من وقف عليه أنبناه إلى ما ولينا ومعاضدته ومساعدته فيما أحليناه، وحفظ نظام ناموسه، وإقامة حرمته لكونه، رأس هذا المنصب والمسمى برئيس ولتعويده بالمعاضدة على حمل جماعة اليهود المذكورين على طريقتهم، وليفوضوا إليه الحبس والترسيم وإقامة الحدود على المذكورين بمقتضى شريعتهم على خروجهم عن طريق الحق في زيفهم ومخالفتهم، ولينظر في أحكامهم وأنكحتهم وأوقاتهم المختصة بهم وصرفها لمن يستحقها وإيصالها لمن يتسلم منهم طريقاً وليتعهدم في أمر أيتامهم، وتنمية أموالهم وما تفرضه شريعتهم من الانفاق وصرفه بمقتضى وجوه الانفاق، والذي يحرم من يتعين عليه الحرمة منهم ويعضده بمقتضى شريعته عنهم، ويكتب اسمه في صدقاتهم ومساطيرهم على عادة أبيه وجده، فليبدأ ذلك مباشرة ترضيهم وليتوصين بطائفته وصية يسلك بهم طريقاً في دفع المضار توقيهم، والنواب يقفون عنده وحسبه انهم نوابه وجنده، ويقومون بالعمل يمارسهم به رعاية لمصالحهم وقصدهم، واعتماد أهل الوفاء بذمام عهدهم ويتقدمون بالشد من الرئيس المذكور ونوابه بثغر الإسكندرية المحروس وسائر الأعمال بالديار المصرية، ويعتمد مع نوابه ما يعمد معه من الإكرام، ويتعهد كل طائفة بما يجب من الرعاية والاحترام، ويكونون معه بمضاعفة الحرمة الوافرة الأقسام، ومن خالفه منهم، وخرج من طاعته من الطوائف المذكور، فيقابله أشد مقابلة، ويردع أيم ردع، بحيث تكون طوائفهم خائفين ولأمره تائبين، وله في كل أمر مبايعين.

وسبيل كل واقف على مرسومنا هذا من النواب والولاة والمتصرفين اعتماد ما تضمنه من غير عدول عنه، ولا خروج عن حكمه، والاعتماد في ذلك على الخط الشريف أعلاه، حجة بمقتضاه إن شاء الله تعالى.

الهوامش

(١) السامرة: فرقة يهودية لا تؤمن بغير الأسفار الخمسة من التوراة، وينكرون كل نبوة بعد موسى باستثناء هارون ويوشع، ويتخذون من جبل الجرزيم بالقرب من نابلس قبلة لهم ويحجون إليه ويقدمون عليه الأضاحي، يأخذون بظاهر نصوص التوراة، ويعتمدون على رؤية الأهلة في تاريخهم. انظر عنهم: ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ١٤٤. القلقشندي: صبح الأعشى، ٣٩١/١١. ابن فضل العمري: مسالك الابصار في ممالك الأمصار، مخطوط محفوظ في خزانة ايا صوفيا بالمكتبة السليمانية ـــ بتركيا، رقم ٣٤٣٥، الجزء ٢٣ ورقة ٩ أ، ١٤٦ ب. ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، ٩٠/١ ـــ ٩٢. قاسم عبده: أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، ١١٣ ـــ ١١٥. أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ، ٧٤٨. الشهرستاني: الملل والنحل، ٢١٨/١ ـــ ٢١٩. ابن حزم: الفصل في الملل والنحل، ١١٧/١.

Moses Gaster: The Samaritanes. Their History Doctrines and Literature, London, 1925. Universal Jewish Encyclopaedia: Art: Samartines.

وانظر أيضاً التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية، ترجمة الكاهن السامري: أبو الحسن اسحق الصوري، نشرها أحمد حجازي السقا).

(٢) الصدوقية نسبوا إلى رجل منهم اسمه صدوق، يقولون إن العزيز هو ابن الله تعالى، وينكرون البعث والنشور والقيامة، لأن عقاب العصاة وإثابة المحسنين يحصلان في حياتهم، ويقبلون الأسفار الخمسة. انظر: سوسة: مفصل العرب واليهود، ٧٥٦ ـــ ٧٥٧. ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار، ٢٣٩ ورقة ٩ أ.

(٣) العانانية: اصحاب عانان الداودي اليهودي، يقولون إنهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء، ويتبرأون من قول الأحبار، وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام وهم في الاندلس بطليطلة وطلبيرة. انظر: ابن فضل الله العمري: المسالك، ج ٢٣ ق ٩.

(٤) الربابنة أو الربانيون: وهم القائلون بأقوال الأحبار، وهم جمهور اليهود، وقد اتبعوا تفاسير علماء اليهود وفقهائهم في المشنا والتلمود، ورد ذكرهم في القرآن الكريم (سورة المائدة:٤٤)، يؤرخون بالأهلة. انظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الابصار، ج ٢٣ق٩ أ.حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي، ص ٢٤٣.

Universal Jewish Ency. Art Rabbanite.

(٥) العيسوية: نسبوا إلى أبـي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، ابتدأ دعوته زمن آخر ملوك بني امية، يقولون بنبوة عيسى ومحمد (ص)، وزعم ابو عيسى انه نبـي جاء ليخلص بني إسرائيل من الملوك الظالمين، انظر الشهرستاني: الملل والنحل، ٢١٦/١. ابن فضل الله: المسالك، ج ٢٣ ق ٩ أ.

(٦) الفريسيون: يؤمن اتباعها بالقيامة وبالروح والملائكة، يحافظون على الشريعة ويتمسكون بها مع التقاليد الحرفية التي كان يتناقلها الخلف عن السلف، والكلمة مشتقة من الإفراز (فروشيم بالعبرية) حيث أطلق اللفظ على جماعة من كبار اليهود بمعنى المفروزين أو المنعزلين، وسموا أنفسهم بالأتقياء «حسيديم» وسموا جمهور اليهود عوام الأرض. انظر: قاسم عبده: أهل الذمة، ١١٠. سوسة: مفصل العرب واليهود، ص ٧٧٠. شاهين بن مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين، ط. مصر ١٩٠٤، ص ١١٧ ـــ ١١٢. حسن ظاظا: الفكر الديني، ٢٥٢، ٢٥٦.

(٧) الكتبة (القراءون): وهم يعتبرون انفسهم، كتبة علماء الشريعة وحافظي تقاليدها، ولا يعترفون بغير التوراة، ولم يتقيدوا بما جاء في التلمود ويتمسكون بظاهر نصوص التوراة ويعتقدون بسابق القدر، ويعتمدون على الأهلة في تقويم وحساب أعيادهم، ويرجعهم البعض إلى عنان بن داود ت ٧٩٠م الذين ورد ذكرهم سابقاً. انظر: سوسة: مفصل العرب واليهود، ٧٧٣. مراد فرج: القراءون والربانيون، ٣٦. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢٥٣/١٣. المقريزي: الخطط المقريزية ٤٧٢/٢، ٤٧٦. مؤرخ شامي مجهول: حوليات دمشقية، تحقيق حسن حبشي، ص ٤٠.

Universal Jewish Ency: Art, Karaites.

قاسم عبده: أهل الذمة، ١١١ ـــ ١١٢.

(٨) الأسينيون أو المغتسلون: فرقة تختلف عن بقية الفرق اختلافاً ظاهراً في العقائد، اعتزلت المدن وأقامت في المغاور والكهوف قرب البحر الميت، يحرمون نظام الرق، لا يقدمون الذبائح والقرابين، ويحرمون الملكية الفردية، يحتمون على انفسهم الطهارة فيغتسلون كل صباح، سموا اتباعها بالحسّديين، مالوا إلى التقشف والزهد، انظر: سوسة: مفصل العرب واليهود، ٧١١. شاهين بن مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين، ١١٧، ١٢٢.

(٩) الهيروديون: طائفة سياسية من اليهود كانوا يميلون إلى هيرودس الكبير ليقربهم من الرومان، يقولون بأن لا ملك لليهود إلا الله، انظر، سوسة: مفصل العرب واليهود، ٧٩٢.
شاهين بن مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين، ١١٧ ـــ ١٢٢.

(١٠) بنيامين بن يونة التطيلي: رحلة بنيامين، ترجمها عزرا حداد عن العبرية، ط. بغداد ١٩٤٥.

(١١) Adler: Jewish travellers, pp. 88-89.

(١٢) Op. Cit. Ibid, pp. 103-105.
Holtz (Avrham): The Holy City (Jews on Jerusalem), New York, 1971, p. 126.

(١٣) Zenjamin. Z. Kedar: The Jews of Jerusalem (1187-1267) and the role of Nahmanides in the re-esta-blishment of their Community. The Jerusalem Cathedra, Vol. 2. edited by Lee. 1. Levine, Wayne State University Press Detroit, 1982, p. 321.

(١٤) Holtz (Avrham): The holy city, pp. 126-127.

(١٥) Encyclopaedia Judaica, p. 74. Adler: Jewish travellers C. Elijah Ferrara) pp. 151-155.

(١٦) Adler: Jewish travellers, p. 189. Ency. Jud. p. 75.

(١٧) The Wanderings of Felix Fabri 1 the Library of the Palestine Pilgrims text Society, London, 1897. vol. 1 p. 213.

(١٨) Ency. Judaica p. 72, Adler: Jewish travellers, p. 235.

(١٩) Joseph Drory: Jerusalem in the Mamluk Period, Jerusalem Cathedra, vol. 1. 1981, pp. 191.

(٢٠) Ency. Jud. p. 76.

(٢١) Ency. Jud. p. 76.

(٢٢) العسلي: وثائق مقدسية ٢٨٤ ـــ ٢٨٥.

(٢٢م) Le Strange (Gyiy): History of Jerusalem, reprinted from Palestine under the Moslems, p. 23.

(٢٣) Kedar: The Jews of Jerusalem, p. 23.

(٢٤) Adler: Jewis travellers, p. 126.

(٢٥) غوانمة: نيابة بيت المقدس، ١١٢ و Martin: The Crusades, p. 127.

(٢٦) Adler: Jewish travellers, p. 153.

(٢٧) Marshall. W. Baldwin: The decline and Fall of Jerusalem 1174-1189 (A History of the crusades, vol. 1 pp. 621.

(٢٨) Grousset. R: Histoire des croisades et du Rayaume Franc. de Jerusalem 3 vol. Paris, 1936 (vol. 2. p. 821).

(٢٩) Ashtor, E: Saladin, the Jews, Hebrew union College, Annual 26, 1956.

(٣٠) Kedar: The Jews of Jerusalem, p. 321.

(٣١) John. M. Oesterreicher: The Jewish Presence in Jerusalem through the ages, New York, 1974. p. 143.

(٣٢) عاشور (سعيد): اليهود في العصور الوسطى، دراسة مقارنة بين الشرق والغرب، ص ٩٤، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، بيروت، ١٩٧٧.
غوانمة (يوسف): تاريخ نيابة القدس في العصر المملوكي، ط. عمان ١٩٨٢، ص ١٢٢ ـــ ١٢٣.

(٣٣) Marshall. W. Baldwin: The decline, p. 621.

(٣٤) Kedar: The Jews of Jerusalem, p. 21.
Adler: Jewish travellers, p. 248.

(٣٥) ـــ احمد درّاج: المماليك والفرنجة، ٤٥ ـــ ٤٦.

(٣٦) ENCY. Jud. p. 69.

(٣٧) بجير الدين العليمي: الإنس الجليل، ٢/٤٣.
— benjamin. Z. Kedar: The Jews of Jerusalem (Jerusalem Cathedra) vol. 2. 1982, p. 321.

(٣٨) القلقشندي: صبح الاعشى، ١١/٢٨٨.

(٣٩) الحزان: من يشرف على الصلاة ويكون ملماً بأحكام التلمود عند الربانية، يتلو صلوات السبت والوعظ، انظر مراد فرج: القراءون والربانون، ١٨١.

(٤٠) الشليمصبور / الإمام الذي يصلي باليهود في كنائسهم، المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٤١) الحبر او الربان: من يتولى القضاء والفصل في المنازعات بين افراد الطائفة والفتوى، ينهي ويأمر ولا يتقاضى أجراً، بل يرتزق من التجارة، مراد فرج: القراءون ٧٢ قاسم عبده: أهل الذمة، ١١٨.

(٤٢) ابن العربـي: الرحلة إلى المشرق (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة)، مجلة الأبحاث ـــ بيروت، ص ٨١ ـــ ٨٢.

(٤٣) القلقشندي: صبح الاعشى ٤/١٩٤.

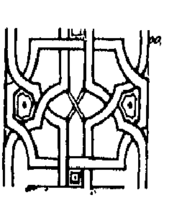
(٤٤) Kedar: The Jews of Jerusalem, 321. ENCY. Judiaca. p. 67.

(٤٥) Holtz: The holy City, p. 122.

(٤٦) Abraham Yeari: Iaroth Eretz, Yisteal, Tel-eviv-Gazit, 1943, pp. 47-5.

(٤٧) ENCY. Judica, p. 75.

(٤٨) ENCY. Judica. p. 76.
(٤٩) ENCY. Judica, p. 76.
(٥٠) ابن عبدالظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص ٢١٦. القلقشندي: صبح الأعشى، ١١/٣٨٥ ــ ٣٩٢. ابن الفرات: تاريخ، ٨/٢٠.
(٥١) Holtz: The Holy City. p. 127.
(٥٢) Alder: Jewish travellers, p. 235.
(٥٣) حول الشروط العمرية انظر، ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، ط. الأولى، دمشق ١٩٦١، بتحقيق صبحي الصالح. وشرح الشروط العمرية صبحي الصالح أيضاً، ط. دمشق ١٩٦١م. ابن جماعة: تحرير الأحكام المنشور في مجلة (Islamica)، م ٤ سنة ١٩٣٤م، نشره هانس كوفلر.
(٥٤) الأصل في السامرة انهم من اليهود، غير ان ابن جماعة أدرجهم مع من له شبهة كتاب لاختلاف توراتهم عن تلك التي عند الربانية والقرائيين، انظر ابن جماعة: تحرير الأحكام، ص ٢٨.
(٥٥) ابن جماعة: تحرير الأحكام، ٣٩.
(٥٦) المقريزي: السلوك، ج ٢ ق ٣ ص ٩٢٣، ٩٢٥.
(٥٧) المقريزي: السلوك ق ١ ج ٣ ص ٧٥٣.
(٥٨) موسى بن ميمون: مقالة دلالة الحائرين عناية (Joseph Lehouda) المنشورة بمجلة (Journal Asiatian. Tom. 14. Paris, 1842, pp. 11-14).
(٥٩) العيني: عقود الجمان في وقائع الأزمان ــ مخطوط خزانة أيا صوفيا رقم ٣٣١١ ورقة ٣٤ أ ــ ب.
(٦٠) المرجع السابق، ج ٢٦ ق ١٠٧.
(٦١) العيني: عقود الجمان، ص ٧٠ مخطوط أيا صوفيا رقم ٣٣١، ابن حجر: انباء الغمر، ٤/١٨ القرشي: معالم القربة، ٩٢ ــ ١٠٠.
(٦٢) ابن حجر: ابناء القمر، ٩٢ ــ ١٠٠.
(٦٣) الوثائق المملوكية رقم ٦٦/٢ وثيقة رقم ٦٣٦ تاريخ ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٧٩٢هـ. المنشورة في كتاب وثائق بيت المقدس بعناية كامل العسلي، ط. عمان سنة ١٩٨٠ ج ٢.
(٦٤) السخاوي: التبر المسبوك، ٣٩ ــ ٤٠.
(٦٥) الصفدي: الوافي بالوفيان (فيسبادن ١٩٦٩) ٧/١٢٥.
(٦٦) العسلي: الوثائق المملوكية، ٦٦/٢.
(٦٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ١٠٢/٣ ــ ١٠٣.
(٦٨) العليمي: تاريخ الإنس، ق ١٤٠ ب (مخطوط استانبول رقم ١٩٩٩ قره أوغلي).
(٦٩) Kedar: Jews of Jerusalem, p. 129.
(٧٠) Ibid. p. 129.
(٧١) Adler: Jewish travellers, p. 133.
(٧٢) Adler: Jewish travellers, p. 134.
(٧٣) Ibid, p. 134.
(٧٤) Ibid, p. 134.
(٧٥) النابلسي: الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية، ص ١٠.
— Kedar: Jews of Jerusalem. p. 124.
(٧٦) Kedar: Jews of Jerusalem, p. 124.
(٧٧) العثماني: تاريخ صفد. بعناية كلود كاهن.
— BSOAS. vol. 15, 1953, p. 80.
(٧٨) الإسراء:٤.







د. زاهية قدورة

العرب شعب سامي يرتبط مع غيره من الشعوب السامية بروابط اللغة والأصل والموطن القديم، وهم أبناء الأمة العربية في أبعادها الحالية الممتدة من المحيط إلى الخليج. فهؤلاء العرب الذين يقطنون تلك البقاع قد جمعهم التاريخ المشترك واللغة المشتركة والمصير المشترك وأصبحوا يمثلون وحدة روحية وثقافية في عالمنا الحديث. وقد جرى بين الباحثين كثير من التساؤل عن وجود أسس عنصرية للأمة العربية، وبذلت جهود كثيرة لتحري أسس هذه الوحدة منها ما بني على أصل الساميين في الجزيرة وهجرتهم منها إلى شرق البحر المتوسط، وغير ذلك من الآراء والاتجاهات، فالجنس العربي ليس بدعة في ذلك وليس بحاجة إلى تحري اصوله بين الحفريات.

فالعرب تاريخ وحضارة وثقافة وليسوا خصائص عنصرية أو عرقية. لقد كانت فكرة العرب تتحكم في تفكير الباحثين في طبيعة الوحدة القومية، ولكن سير التاريخ واتباع نطاق البحث في حركات الأمم والشعوب قد أثبتت أن العرق الموحد الصافي لا يمكن أن يوجد في أية منطقة من مناطق الأرض ومع ذلك فإننا نتناول موضوع الأصل العربي كمرحلة من مراحل الفكر والتاريخ وكمقدمة ممهدة لدراسة الأمة العربية قبل أن تتخذ شكلها الحالي المتكامل.



لقد شهدت المنطقة العربية امتزاج الكثير من الشعوب خلال عصور التاريخ ومع ذلك فإن الجنسين الغالبين في أصولهما هما:

١ ـ الجنس السامي الذي كان منتشراً في غرب آسيا قبل ظهور الإسلام.

٢ ـ الجنس الحامي الذي كان منتشراً في شمال أفريقيا منذ أزمنة بعيدة.

وكلاهما فرع من عنصر البحر المتوسط، ويرى بعض العلماء مثل هروزني (hrozny) وبارتون (barton) إن الساميين والحاميين يرجعان إلى اصل مشترك، وإنهم أتوا من مكان واحد. ويقول العالم هروزني (hrozny) إن هذا المكان هو منطقة القفقاس وبحر الخزر «وإن سورية كانت محطة لهم ومنها تفرقوا إلى مصر وبلاد الرافدين وغيرها»[١]. ويكاد الباحثون يتفقون على أن مهد الشعوب السامية هو الجزيرة العربية أو جزيرة العرب، ومن القسم الجنوبي بالذات. وقد عين البعض نجدا، والبعض الآخر ذكر العروض ولا سيما البحرين التي كان يقطنها الفينيقيون الذين هاجروا منها فيما بعد. ويجعل البعض وهم قلة، موطن الساميين أرض بابل أو مكاناً آخر في العراق، وهؤلاء المؤرخون متأثرون برواية «العهد القديم» القائلة بأن أقدم ناحية عمرها بنو نوح هي أرض بابل، ومن أشهر القائلين بهذه النظرية بعض المستشرقين، منهم فون كريمر (von kremer) وجويدي (guidi) وهومل (hommel) ١٨٧٩.

وقد اهتم الباحثون الغربيون بهذه الدراسات السامية، وكان ممن ذهب إلى أن الموطن الأصلي لجميع الساميين هو جزيرة العرب، العالم الألماني شبرنجر (sprenger) ١٨٦١، إذ يرى أن نجدا هي موطن الساميين وقد زحفوا منها إلى الهلال الخصيب وطبعوه بالطابع السامي. «ومن هذا المخزن خرجت طبقات من البشر وسكنت في هذه الأرض التي اتسمت بالسامية»، وأيد هذه النظرية سايس (sayce) الذي قرر أن جميع الروايات والآثار السامية تشير إلى أن جزيرة العرب هي الموطن الأول الذي ظهر فيه الساميون[٢].

على أن الثقات من الباحثين يرجعون أصل الساميين إلى جزيرة العرب. ولما كان العرب قد سكنوا الجزيرة زمناً أطول مما سكنه غيرهم، وقد تأثروا بمحيط هذه الجزيرة أكثر من سواهم فإنهم لذلك أصدق الشعوب السامية تمثيلاً للسامية وأحفظهم لخصائصها.

وأهم الشعوب السامية: البابليون والأشوريون والأموريون والكنعانيون والفينيقيون والعبرانيون والعرب والأحباش.

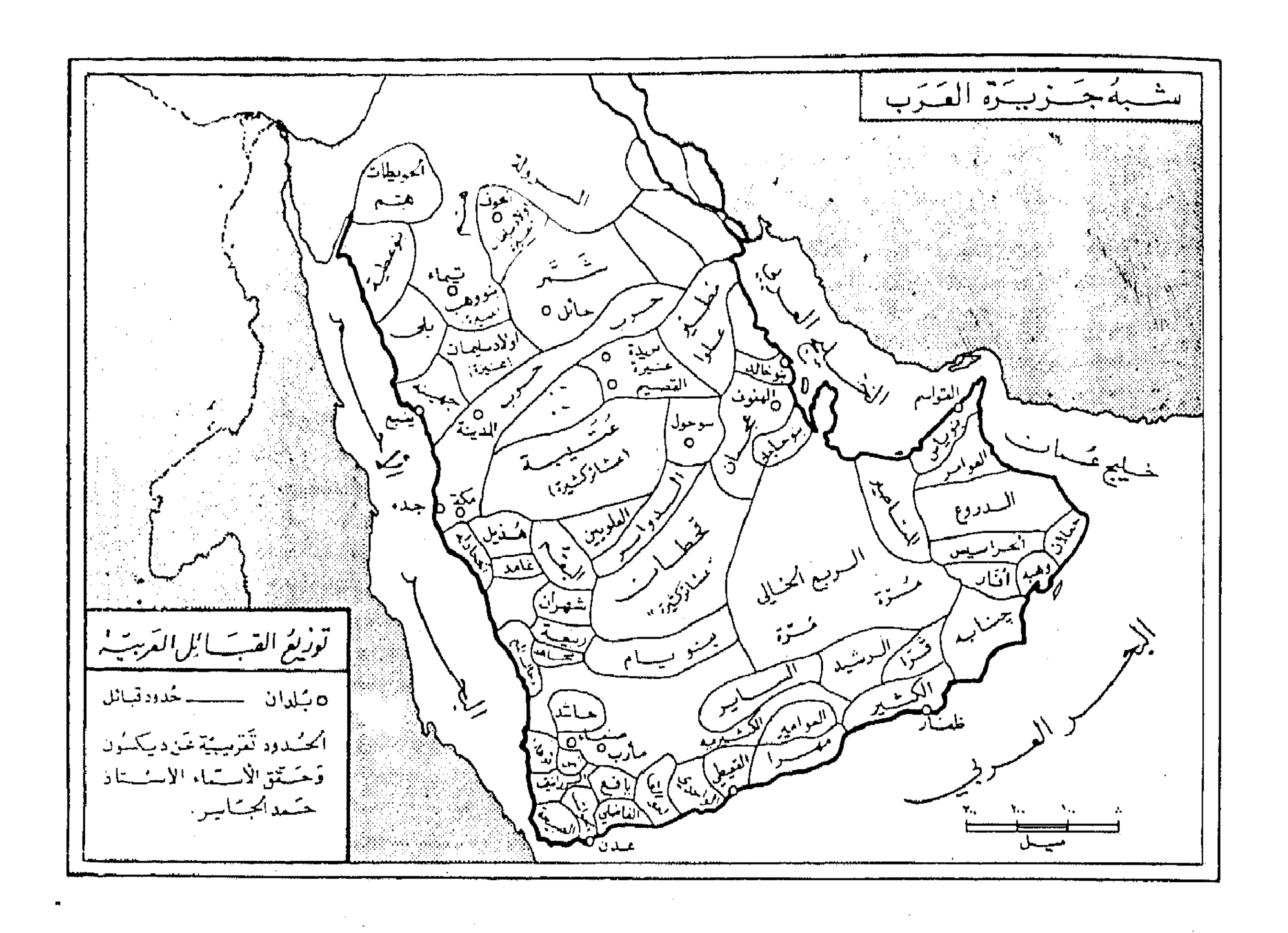
لقد خرج الساميون من الجزيرة العربية في هجرات متعددة إلى الهلال الخصيب. وكانت هذه الهجرات بداية عصر حضاري في المنطقة ويعزى خروج هذه الشعوب في رأي بعض العلماء إلى أن شبه الجزيرة العربية كانت في العصور القديمة خصبة التربة، تمتاز بغزارة الأمطار ووفرة المياه وكثافة الغابات وضخامة الأشجار. وأنها كانت مأهولة بالسكان ميسورة المياه، وإن جوها كان خيراً من جو أوروبا في العصور الجليدية، إذ كانت الثلوج تغطي معظم أرض أوروبا في هذه العصور، ثم تغير الحال وتغير الجو عامة في العصر الحجري الحديث فذابت الثلوج بالتدرج وتغير جو الجزيرة العربية من خصب إلى جفاف مما دفع سكانها إلى الخروج في هجرات متتالية[٣].

وأهم هذه الهجرات:

أولاً ـ الهجرة الأولى: كانت سنة ٣٥٠٠ ق.م. واتجهت هذه الهجرة إلى الشمال الشرقي أو إلى وادي الفرات الأدنى، ومنها نشأت حضارة البابليين والأشوريين.

ثانياً ـ الهجرة الثانية: كانت سنة ٢٥٠٠ ق.م. أي بعد ١٠٠٠ عام من الهجرة الأولى.

وقد نزح في هذه الهجرة الأموريون والكنعانيون والفينيقيون إلى سوريا وسواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية. وقد نزل الكنعانيون غربي الشام وفلسطين وانتشر الفينيقيون على طول الساحل السوري، والآراميون إلى جنوب الشام (فلسطين) ومن بعدهم (السريان) إلى داخل سوريا ـ أي سهل البقاع ـ.



ثالثاً ــ الهجرة الثالثة: كانت سنة ١٥٠٠ق.م. وقد نزح في هذه الهجرة العبرانيون والآراميون، إلى جنوب الشام (فلسطين) ثم نزح الأنباط حوالي ٥٠٠ ق.م.(٤) ثم انطلق العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي في فتوحاتهم الكبرى التي امتدت إلى أطراف الصين وغرب أوروبا.

هذه هي أهم الهجرات، وهناك هجرات، أخرى لم يكن لها مثل هذه المكانة التاريخية، على أن الفتح الإسلامي كان الانطلاقة الكبيرة التي انطلق العرب منها إلى هذه البلاد وامتزجوا بأهلها وأقاموا دولتهم الكبرى التي امتدت فيما بعد من المحيط إلى الخليج. ونذكر في هذه المناسبة ما قاله الدكتور فيليب حتي(٥): «إن البابليين والكلدانيين والحثيين والفينيقيين شعوب كانت ثم زالت، أما العرب والمتكلمون بالعربية فإنهم كانوا ولا يزالون».

وكذلك زحف عدد من الأسر السامية إلى أفريقيا وإلى مصر بالذات قبل أيام الأسر الفرعونية، على أنه في شمال أفريقيا، اختلط الأصل الحامي بجنس أشقر جاء إليها في الألف الثاني قبل الميلاد، وهو جنس يشبه سكان أوروبا الشمالية الغربية يتميز أهله ببياض البشرة واستطالة الرأس وطول القامة. وعلى أي حال فإن نظرية العلاقات على أساس الدم والعرق أو العنصر لم تعد في عصرنا هذا ذات أثر عميق في علاقات الشعوب(٦). فهناك عوامل أخرى تعمل على الجمع بين الأمم المختلفة أو إيجاد الفرقة بينها.

هناك عوامل كثيرة أقوى من العنصرية منها، اللغة الواحدة والمنطقة الجغرافية الواحدة والتاريخ المشترك والمصالح الاقتصادية المشتركة المتكاملة، والمصير المشترك.

هكذا نرى إن الجزيرة العربية كانت موطن العرب الأول، ولكن الهجرات المتتالية نحو الشمال ابتداء من ٣٥٠٠ ق.م. ثم الروابط التي وجدت منذ القدم، جعلت بلاد العراق وسوريا الطبيعية ــ أي لبنان وسوريا والأردن وفلسطين ــ ومصرٍ وشمالٍ أفريقيا، بلاداً عربية

لغة وتاريخا وتراثا ومصيرا.

أما حدود العالم العربي فهي: من الشرق سلسلة جبال زغروس الفاصلة بين العراق وإيران، ومن الغرب المحيط الأطلسي وراء ساحل مراكش، ومن الشمال سلسلة جبال طوروس التي تفصل تركيا عن الهلال الخصيب، ومن الجنوب المحيط الهندي وأدغال أفريقية والصحراء الكبرى.

وتشمل الأقطار العربية التي تقع في آسيا، جزيرة العرب والهلال الخصيب الذي يتألف نصفه الشرقي من العراق ونصفه الغربي من سوريا الطبيعية، وهي وحدة جغرافية وطبيعية تمتد من جبال طوروس في الشمال إلى صحراء سيناء في الجنوب، وبين طرفي الهلال الخصيب تقع بادية الشام، وهذا الهلال امتداد المستطيل الصحراوي وشبه الصحراوي إلى الجنوب أي الجزيرة العربية نفسها.

وفي أفريقيا استوطن العرب وادي النيل ـ مصر والسودان ـ وانتشروا على طول الساحل من مصر إلى مراكش، وتشمل أفريقيا الشمالية المغرب العربي المؤلف من ليبيا وتونس والجزائر الواقعة على ساحل البحر المتوسط. ومراكش الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى. وهذه الأقطار العربية تؤلف بقعة عربية واحدة تحوي مختلف أنواع المناخ والتربة والموارد الطبيعية، فهي تكمل بعضها بعضاً وتؤلف مجموعة طبيعية ومنطقة اقتصادية متكاملة وشعباً عربياً واحداً تشده روابط اللغة والتاريخ والتراث والمصير المشترك.

والجزيرة العربية في ما أرى هي المنطلق الأول لهذه الأمة فلا بد من ذكر لمحة خاطفة عنها:

تشكل الجزيرة العربية قطعة مستطيلة مساحتها مليون وربع من الأميال المربعة. يحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب بحر العرب، وقسم من المحيط الهندي ومن الشرق بحر عمان وخليج البصرة، ومنهم من يرفع حدودها في الشمال إلى الفرات وحلب ومنهم من يدخل العراق وشرق الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان ضمن هذه الحدود، على أن أكثر الجغرافيين يرفعون الحدود إلى بادية الشام حيث تندمج فيها تدريجياً.

عرفت بلاد العرب منذ الجاهلية باسم جزيرة العرب، مع أنها في الواقع شبه جزيرة ولكنهم غلبوا عليها اسم جزيرة وذلك استناداً إلى وصف جغرافي العرب في القرون الوسطى(٧) حيث يجعلون حدودها الشمالية نهر دجلة ومنعطفً نهر الفرات والبحر المتوسط، أي يرفعون حدودها ويجعلون الهلال الخصيب جزءاً منها. وهذا التخطيط الجغرافي لجزيرة العرب، قد اقر به قدماء الكتاب من قبل ظهور علم الجغرافية عند العرب بقرون عديدة، وذكروا أن الهلال الخصيب جزء من جزيرة العرب. وبذلك قال المؤرخ القديم بليني(٨) في إن حدود جزيرة العرب تمتد إلى جبال أمانوس وتضم مدينتي الرها وحران.

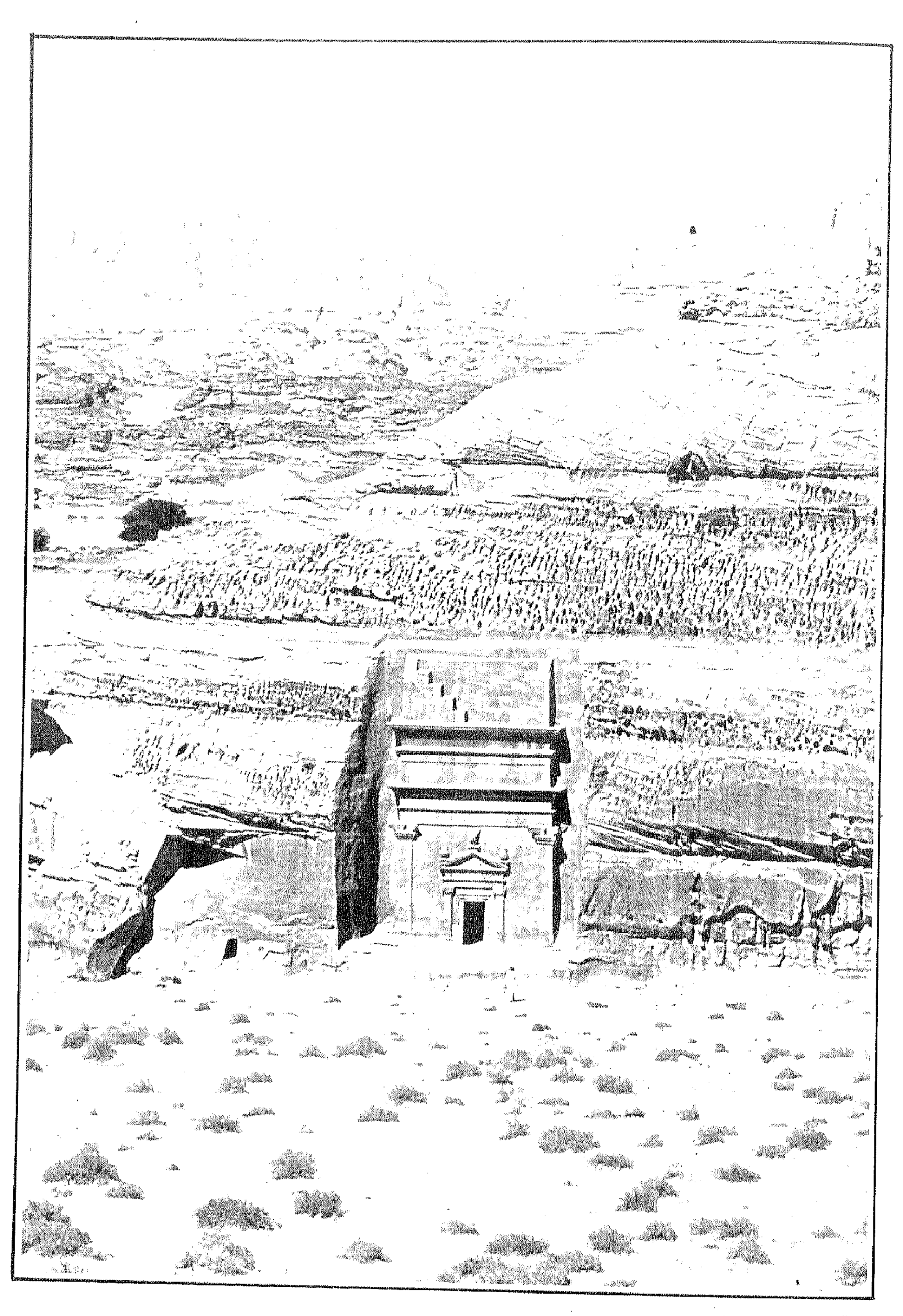
تقسم الجزيرة من حيث الطبيعة الجغرافية إلى اقسام: فيها الجبال الفاصلة والأراضي الخصبة والصحارى الشاسعة، ومناطق الخصب فيها الأودية والواحات، إذ ليس فيها ينابيع دائمة وليس فيها بحيرات ولا أحراج، وجوها على العموم حار غير إنه في المناطق الجبلية بارد ليلاً، ولا سيما في الشتاء ومعتدل بعض الاعتدال في الاماكن المجاورة للأودية.

تهب رياح على الجزيرة منها ما تعدل المناخ ومنها ما تحمل الرمال والحرارة وأشد هذه الرياح السموم.

وليس هناك انتظام في هطول الأمطار، فهي في بعض المناطق تهطل بشدة ثم تنقطع فجأة، أما الجبال فتعلو في الغرب، وفي منطقة الحجاز، وفي الجزء الأوسط من منطقة عسير، ثم في الجنوب اي في اليمن حيث توجد أعلى مرتفعات الجزيرة التي تبلغ ١٢٠٠ قدم فوق سطح البحر ثم تنخفض نحو الشرق والشمال إلى هضبة نجد.

أما في الجنوب فتنخفض حتى تبلغ السهول الصحراوية في الربع الخالي. ثم تعود فترتفع فجأة في الشرق في جبال عمان وتنحدر إلى الساحل محاطة بسهل ساحلي ضيق وبعضه محاط بسلاسل من الجبال.

هذه الجبال تقطعها الأودية التي تجري فيها السيول في بعض فصول السنة، فتظهر الأعشاب والمراعي حولها ويلاحظ أن مناطق الخصب موجودة في الأودية أكثر من غيرها، ومن هذه



□ قبر نبطي في مدائن صالح.

الأودية وادي الرمة.

والصحارى في الجزيرة العربية على نوعين: النفوذ في الشمال، الدهناء في الشرق، ويليها إلى الجنوب الربع الخالي، وتتفاوت تربة الجزيرة في إنتاجها ومحاصيلها، فتوجد بعض النباتات في الأودية وفي الواحات. وفي الصحارى توجد الأعشاب اليابسة، وأشجار الجزيرة قليلة وأهمها الحناء والنخل، وتعد النخلة الشجرة الرئسية فيها. ويزرع قليل من القمح وكثير من الشعير في جهات مختلفة، كما يزرع الأرز في عمان والأحساء، والكرمة في عدة جهات كالمدينة والطائف، ويزرع التفاح والرمان والبرتقال والموز في جهات قليلة إلا أن التمر هو المحصول الأول في مختلف الجهات.

وقد قامت في بلاد العرب في الجزيرة نفسها وفي الهلال الخصيب حضارات عريقة، كحضارة الأشوريين والبابليين والفينيقيين، إلى جانب الحضارة التي شهدتها اليمن كما يدل على ذلك تاريخها وإن كان ما وصلنا عن هذه البلاد قليلاً لضياع كثير من آثارها نتيجة للعوامل الطبيعية والجغرافية ولأن المنقبين لم يستطيعوا بعد التوغل توغلاً كاملاً في تلك البلاد واكتشاف ما خلفه القدماء من آثار.

وتأتي الدراسات والاكتشافات الحديثة لتجلي بعض الغموض عن تاريخ اليمن القديم، فقد كان لليمن مدينة عريقة منذ ١٢٠٠ ق.م. حيث قامت بها ممالك عدة ـ مملكة سبأ ومملكة حمير ـ وكان لليمن مركز تجاري مرموق، وكانت حالتها الزراعية مزدهرة وقد وصفت في المراجع القديمة على أنها بلاد غنية مترفة[٩] إلى درجة اطلق اليونانيون والرومانيون عليها لقب بلاد العرب السعيدة، وقد ذكرت ببعض المراجع القديمة باسم «اليمن الخضراء»[١٠].

ونحن نستدل على حضارة عرب الجنوب أي اليمن من النصوص القديمة من كتابات اليونان والرومان وبعض المراجع العربية القديمة التي ترجع إلى القرن الثامن الميلادي منها وهب بن منبه، والهمذاني في القرن العاشر في كتابه «صفة جزيرة العرب» أو كتاب «الأكليل» للهمذاني أيضاً الذي تحدث فيه عن آثار اليمن. وكذلك نشوان بن سعد الحميري في القرن الحادي عشر وهو صاحب كتاب «شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم». وقد اهتم الباحثون الأجانب في التنقيب عن تلك الحضارة، وتمكنوا من العثور على بعض المعلومات في الكتابات القديمة التي اكتشفت على الحجر ـ أو حجر المعدن ـ وترجع إلى القرن الثامن[١١].

ومن المنقبين الأجانب نيبور المتوفي سنة ١٧٧٢ وهلفي سنة ١٨٧٠ وأدوار كلازر سنة ١٨٩٤ م كما أن المنقبين العرب في هذه المناطق احمد فخري (حي) وخليل يحي نامي (حي) وغيرهم. وفي شمال الجزيرة قامت دويلات عربية منها الأنباط في الشمال الغربي وهم أحد الشعوب العربية حينذاك، وتدل على ذلك الأسماء العربية الواردة في النقوش.

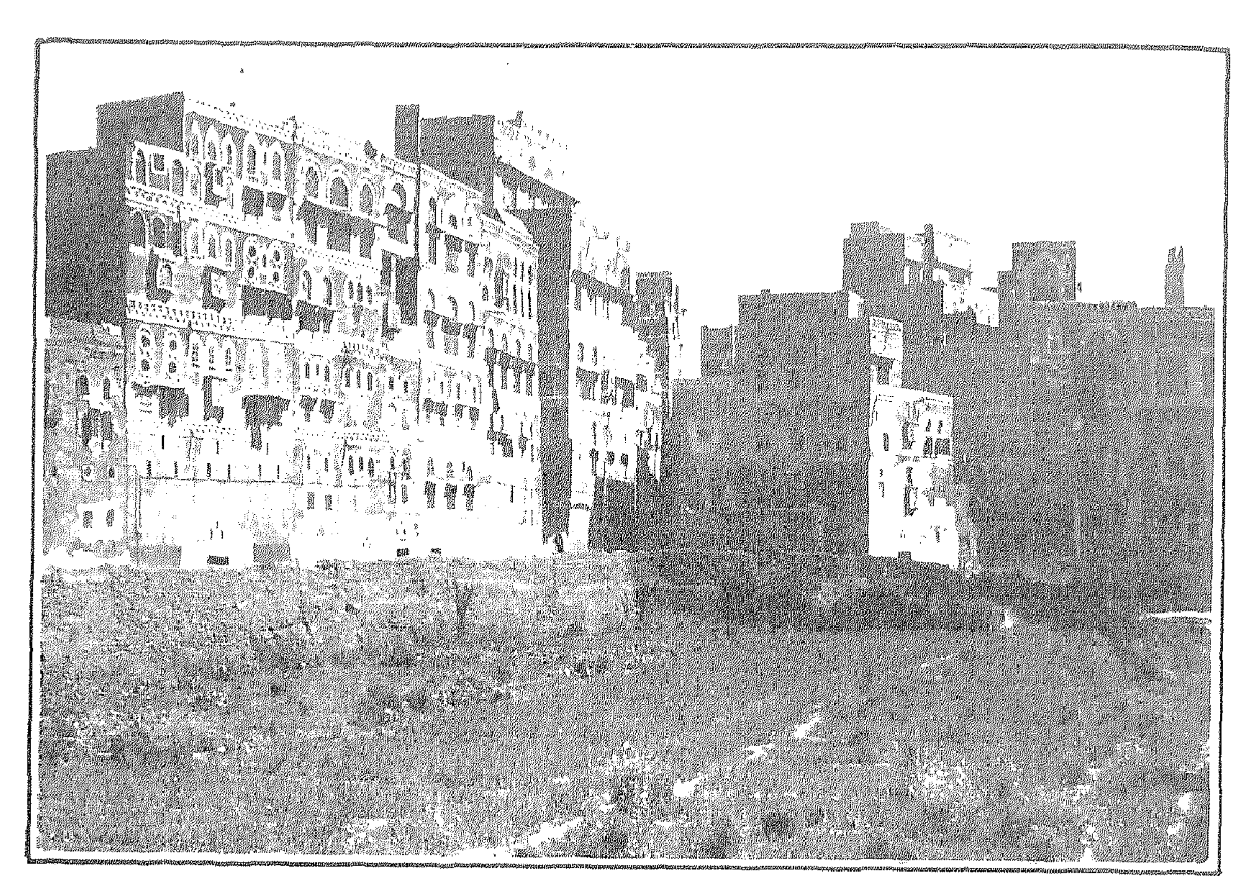
وقد اتخذت هذه الدولة عاصمتها «سلعا» أو «البطراء» وكان لها مدنية زاهرة في القرنين الثاني والثالث ق.م. والأول بعد الميلاد وقد قضى على هذه الدولة الرومان سنة ١٠٦ م.

وقامت الدولة اللحيانية في الشمال أيضاً في مدائن صالح وعاصرت دولة الأنباط واتصلت حدودها بحدودهم وكان لها شأن يذكر، على أن التاريخ لا يذكر كيف انتهت هذه الدولة.

ومن الدول أيضاً، دولة تدمر في صحراء الشام ولها مع الرومان حوادث كثيرة، وقد اشتهر من ملوكها ملكة تدمر «الزباء» التي اسرها الرومان وظلت تحت حكمهم إلى أن فتحها العرب بقيادة خالد بن الوليد.

وكذلك قامت قبل الإسلام بقليل دويلات عربية، منها دولة اللخميين في العراق وكانت تخضع للفرس، ودولة الغساسنة في الشام، وكانت تخضع للبيزنطيين، وكان سبب قيام هاتين الدولتين النزاع المستمر بين دولة الفرس شرقاً ودولة البيزنطيين شمالاً وغرباً، وكلاهما متاخم للجزيرة العربية.

وقد اتخذ ذلك النزاع بين الدولتين الكبيرتين ميداناً له بلاد العراق وسورية وفضلاً على ما كان من نزاع بينهما فقد كانت القبائل العربية تتسرب أحياناً إليهما فتحدث فيهما بعض الاضطرابات، ولهذا تطلعت كل من الدولتين المتاخمتين إلى الاستيلاء على المناطق المجاورة لهما في الجزيرة العربية، ولو بطريق غير مباشر



□ مدينة صنعاء.

فنصبت كل منهما ملكا يحميها من غزو أعدائها ويساعد على تنظيم هذه الدولة، ويمنع تسرب القبائل العربية إلى الداخل. فنشأ اللخميون على حدود فارس والغساسنة على حدود الرومان ولعبت هاتان الدولتان دوراً كبيراً في تاريخ العلاقات بين الفرس والروم والبلاد العربية.

هذه لمحة موجزة عن الجزيرة العربية مهد الشعب العربي(١٢). ومن هذه الرقعة الجغرافية انطلق العرب خارج حدود جزيرتهم ولعبوا دوراً عظيماً في تاريخ البشرية وظلوا بين كر وفر إلى أن استوطنوا حيزاً كبيراً من الكرة الأرضية يقع بين المحيط الهندي وخط الاستواء جنوباً والخليج العربي وإيران شرقاً، وجبال طوروس وساحل البحر المتوسط شمالاً والمحيط الأطلسي غرباً.

إن الدراسات حول الجزيرة العربية من أبناء الأمة العربية أثناء عصور الضعف لم تكن كثيرة بل لم يبدأ الاهتمام بها في العصور الحديثة على نطاق علمي واسع إلا منذ ظهور محمد بن عبد الوهاب.

وبرغم كل هذا بقيت الدراسات عن الجزيرة العربية قليلة وهذا القليل غير متداول بصورة واسعة، وظل نشاط الاستعمار في أطرافها لا يكاد يهتم به الدارسون حتى ظهرت خيرات تلك البقاع وعمت النهضة أرجاء الشقيقات العربيات فبدأت الأضواء تلقى عليها، وانتباه العالم يتجه إليها على نحو ما يجري في الوقت الحاضر.

إن القرن العاشر الهجري أي السادس عشر الميلادي قد شهد فترة تحول خطير في تاريخ العالم العربي فقد وقعت دول هذا العالم الواحدة بعد الأخرى ضمن إطار الدولة العثمانية، ولم يكن حظ الجزيرة العربية مختلفاً عن سواها من اقاليم العالم العربي تحت نفوذ العثمانيين الذين سيطروا على معظم أرجائها، واحتفظوا بسيطرتهم هذه حتى عقد الصلح مع تركيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتقاسمت إنكلترا وفرنسا، مناطق النفوذ بموجب معاهدة سايكس بيكو، ثم كانت فترة الوعي القومي العربي والنضال الوطني حيث تحررت البلاد العربية تباعاً في هذا القرن وأخذت تعمل على إعادة البناء والتطوير على جميع الأصعدة. ●

الهوامش

(١) جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص: ٢٨٩. وراجع مقدمة:
George Barton: Semitic and Hamitic origins-Philadelphia 1934.

(٢) راجع في ذلك: George Barton: Semitic and Hamitic Origines, Dames Hastings, Encyclopedia Religion and Ethnics Philadelphia 1934.

(٣) للتفصيل عن صلات العرب بالساميين وعن هجراتهم ورأي العلماء العرب والمستشرقين في هذا الموضوع، راجع جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص: ١٤٨ ــ ١٦٦، ومحمود كامل، العرب تاريخهم بين الوحدة والفرقة، ص: ٢٣ ــ ٣٩، ورينيه ديسو، العرب في سورية قبل الإسلام، ص: ١ ــ ٢٣. ترجمة عبدالحميد الدواخلي، مصر ١٩٥٩.

ومن أحدث القائلين بهذه النظرية، الأب هنري فليش في مقدمته للدراسات السامية:
P. Henri Fleisch: Introduction aux Etudes Semitiques, Paris 1949.

وكذلك المستشرق الإيطالي ساباتينو موسكاتي في «تاريخ وحضارة الأمم السامية».
Sabatino Moscati: Histoire et Civilisation des Peuples Semitiques, payot, Paris, 1955.

(٤) الأنباط أو النبط مملكة عربية، وقد استعمل الأنباط الآرامية في كتاباتهم، للتفصيل راجع جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص: ٥ ــ ٧٠، ورينيه دسو: العرب في سوريا قبل الإسلام، ص: ١٥.

(٥) تاريخ العرب، ج ١، ص: ٤.

(٦) وقد تزعم المذهب الذي ينفي العنصرية العرقية في البحث التاريخي العالم السويسري أوجين بيتار في كتابه «الأجناس في التاريخ».
Eugéne Pittard: Les Races dans L'Histoire Collection de L'Humanité, Paris.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص: ١٣٧ ــ ١٣٨.

(٨) Pliny, Natural History, BK, V, ch. 21, BK. VI, ch. 32.

(٩) Pliny, BK, XII ch. 41.

(١٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، جزء ٥، صفحة ٤٤٧.

(١١) جورج حداد، المدخل إلى تاريخ الحضارة، ص: ٢٩٥.

(١٢) وقد أصبحت الجزيرة العربية في وقتنا الحاضر موزعة بين ممالك وجمهوريات وسلطنات ومشيخات. ومع ذلك فهي جميعاً متجاورة الحدود متلاصقة الأرض يرتبط سكانها منذ أقدم العصور بوشائج وأواصر قوية يستحيل التغلب عليها.



● من رسالة طاهر بن الحسين ــ أحد قواد الخليفة المأمون ــ لابنه عبدالله:

«... ولا تتهمن أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمة، فإن إيقاع التهم بالمبدأ والظنون السيئة بهم مأثم...».

● «واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك أخبار عمالك ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم، حتى كأنك مع العامل في عمله، معاين لأمره كله. واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك، وأملك نفسك عند الغضب وآثر الوفاء والحلم، وإياك والحدة والطيرة والغرور فيما أنت بسبيله، وأكثر مشاورة الفقهاء، واستعمل نفسك بالحلم، وخذ عن أهل التجارب وذوي العقل والرأي والحكمة.. وتفقد أمور الجند في دواوينهم ومكاتبهم، وأدر عليهم أرزاقهم، ووسع عليهم في معايشهم، فيقوى بك أمرهم، وتزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصاً وانشراحاً».

(الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه)



أفريقية إلى العصر اليوناني

د. نقولا زيادة

من الأمور التي أصبحت موضع عناية الباحثين خلال العقود الأخيرة تاريخ القارة الافريقية. كانت افريقية من قبل تدرس على أن جزءاً منها كان مثلاً تابعاً للامبراطورية الرومانية، أو أن جزءاً آخر كان تابعاً للدولة العربية الإسلامية أو ان منطقة كانت، في وقت من الأوقات بريطانية أو فرنسية أو برتغالية أو اسبانية، اما الآن فهناك دراسات افريقية، جغرافية تاريخية أدبية دينية تحاول أن تكتشف ما يمكن تسميته الشخصية الافريقية.

وقد كان أكثر الباحثين والدارسين من الأجانب، لكن خلال العقود الثلاثة الأخيرة دخل الأفارقة أنفسهم الميدان. وقد صدرت كتب وبحوث ومقالات عديدة وضعها أهل البحث من هؤلاء في الجامعات الافريقية التي قامت في الدول التي استقلت في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

والمقالات الثلاثة، للدكتور نقولا زيادة، التي سننشرها تباعاً تتناول عرضاً مجملاً لتاريخ الشمال الافريقي من أقدم الأزمنة إلى الفتح العربي. والذي نأمله هو أن نتمكن من الحصول على مقالات تتناول تاريخ المناطق الافريقية الأخرى:

ــ متى ظهرت الصحراء الكبرى في افريقية؟

ــ ما هي العناصر البشرية الأولى التي صنعت التاريخ الافريقي، على الأقل في المنطقة الواقعة شمالي خط الاستواء؟

ــ ما هي السمات التي تعرف إليها الباحثون في حضارة ذلك الجزء من افريقية؟

ــ ماذا كان أثر القرطاجيين واليونان في تطوير الحضارة في الشمال الافريقي؟

هذه هي بعض الأسئلة التي يجيب عنها هذا المقال.

افريقية في العصور المبكرة



تخترق الصحراء الكبرى القارة الافريقية من شواطىء البحر الأحمر إلى سواحل المحيط الأطلسي، وتقع بين خطي عرض ١٠ و ٣٦ شمالاً تقريباً. وهذه الصحراء لم تكن دوماً على هذا النحو من القحولة والجفاف، وإنما بدأت هذه تظهر فيها منذ أواخر الألف الخامس وأوائل الألف الرابع قبل الميلاد. فقد كانت، إلى ذلك الحين، فيها الأنهار التي ترفد النيجر غرباً والنيل شرقاً، وكانت البحيرات فيها كثيرة، كما كانت تجمعات صغيرة للمياه تكاد تغطي أجزاء واسعة منها. ويتضح هذا من القيعان الكثيرة التي تشاهد في أنحائها، ومن مجاري الأنهار التي كانت تجري فيها. وحتى البحيرة الكبيرة الوحيدة التي لا تزال موجودة في الصحراء الكبرى، وهي بحيرة تشاد، فقد تقلص حجمها وضاقت مساحتها خلال الآلاف الستة الماضية. ومما يدل على أن البلاد كانت غنية في مواردها وأن السكان كانوا يقيمون في أنحائها ويتنقلون في جهاتها هذه الصور المنحوتة على الصخور والتي جمعت مئات منها خلال السنوات الأخيرة، ولعلّ أوضحها تلك التي عثر عليها في تَسِيلي.

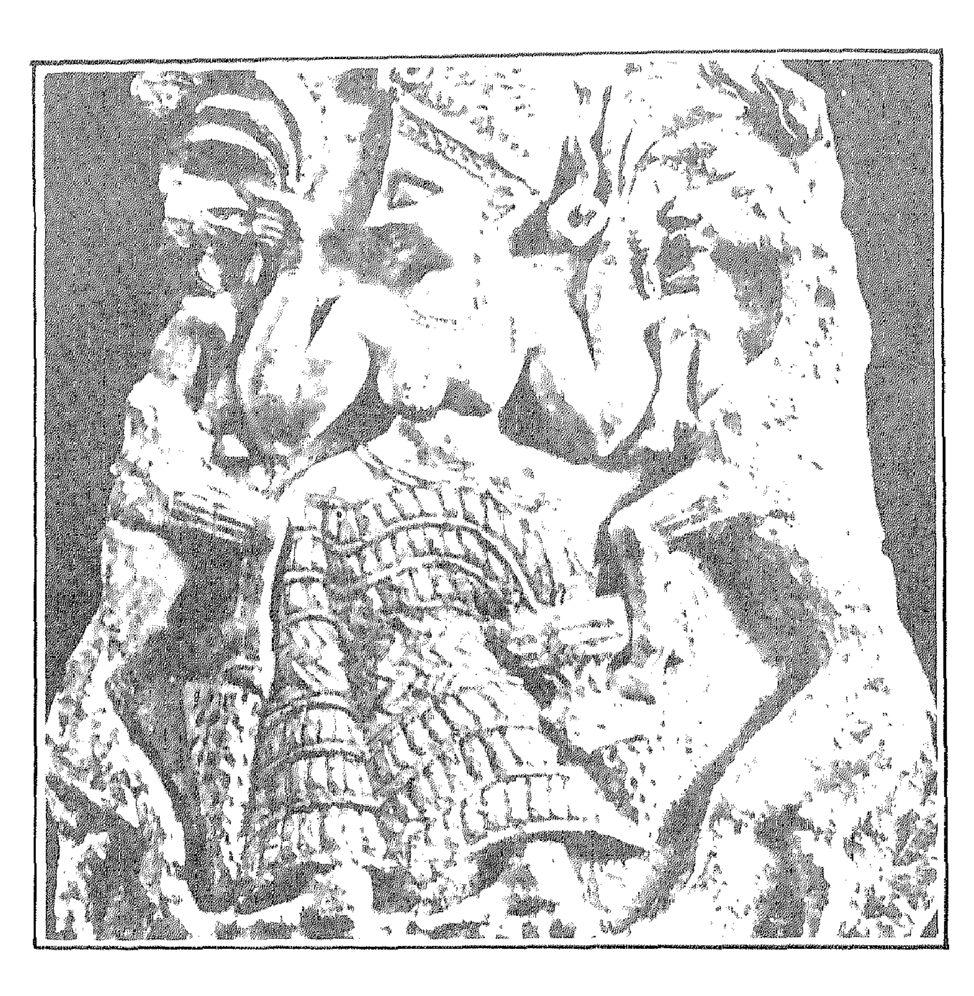
فلما جفت الأنهار واختفت البحيرات هجرت الشعوب الإقليم منحدرة نحو الشمال والجنوب. والسبب الذي أدى إلى هذا العقم، فابتلع الخصب في الصحاري، أمر لم يهتد إليه العلم بعد. ولا شك في أنه واحد من العوامل الفعالة التي مرت على الكرة الأرضية منذ دُفِعَ خط الاستواء نحو الجنوب.

والمهم بالنسبة لنا هو أن قيام الصحراء على هذا الشكل وضع حجاباً بين الشعوب القاطنة في الشمال والشعوب القاطنة في الجنوب. أما في الشمال فقد ظل الاختلاط والتعارف والاتصال بين شعوب الشمال الافريقي وشعوب حوض البحر المتوسط والمشرق العربي مستمرة، ومن هنا كانت الزراعة وما تبع ذلك من صناعة وحضارة مما عرفه الشمال. أما الجنوب — أي جنوبي الصحراء — فقد تأخر عن ذلك قروناً طويلة، وفي واقع الأمر حتى مطلع العصور الحديثة تقريباً.

والخط الوحيد تقريباً الذي ظل يربط بين المناطق الجنوبية والمناطق الشمالية من القارة الإفريقية هو وادي النيل. ومن هنا كان تأثير الشعوب القاطنة في السودان، وحتى في منطقة البحيرات، في سكان مصر السفلى. ولعلّ هذا الطريق هو الذي انتقل عليه استعمال الحديد من مصر إلى تلك المناطق الجنوبية.

وإذا كان التحدي الذي تعرض له سكان وادي النيل فاضطروا، كي يؤمنوا معاشهم، إلى استغلال الأرض استغلالاً زراعياً منظماً، وإنشاء شبكات للري، وإقامة نظام إداري يضمن الأمرين، وانتهى الأمر بهم إلى إنشاء حضارة ترجع إلى مطلع الألف الرابع قبل الميلاد، فإن سكان المناطق الجنوبية لم يضطروا إلى ذلك. لقد كان السكان قليلين (وظلوا كذلك إلى قبل نحو ألف وخمسمئة من السنين) وكانت الأرض خصبة معطاء. فإذا نقص عليهم الرزق في بقعة رحلوا عنها إلى بقعة أخرى يأتيهم فيها رزقهم رغداً. وهذا التنقل المستمر هو الذي حال دونهم والاستقرار، ومن ثم لم يخلقوا حضارة زراعية مستقرة. بل ظلوا قبائل وشعوباً لها الطابع البدائي نسبياً.

وافريقية، هذه القارة الواسعة التي تبلغ مساحتها ثلاثة أمثال مساحة أوروبة، ظلت مجهولة نسبياً أكثر من جارتيها قارتي العالم القديم الأخريين. فنحن إذا استثنينا معرفة عن وادي النيل وحضارته القديمة، وما وصل إلينا من أخبار الشمال الإفريقي وشرق افريقية بين بربرة وسُفالا، فإن بقية السواحل الإفريقية بالذات لم تعرف إلا منذ القرن الرابع عشر الميلادي. (عرف الفينيقيون — القرطاجيون جزءاً من الساحل الأطلسي إلى نهر غمبيا فيما يرجح). وحتى هذه المعرفة اقتصرت على الشواطىء والسواحل، أما قلب القارة النابض فلم يتعرف



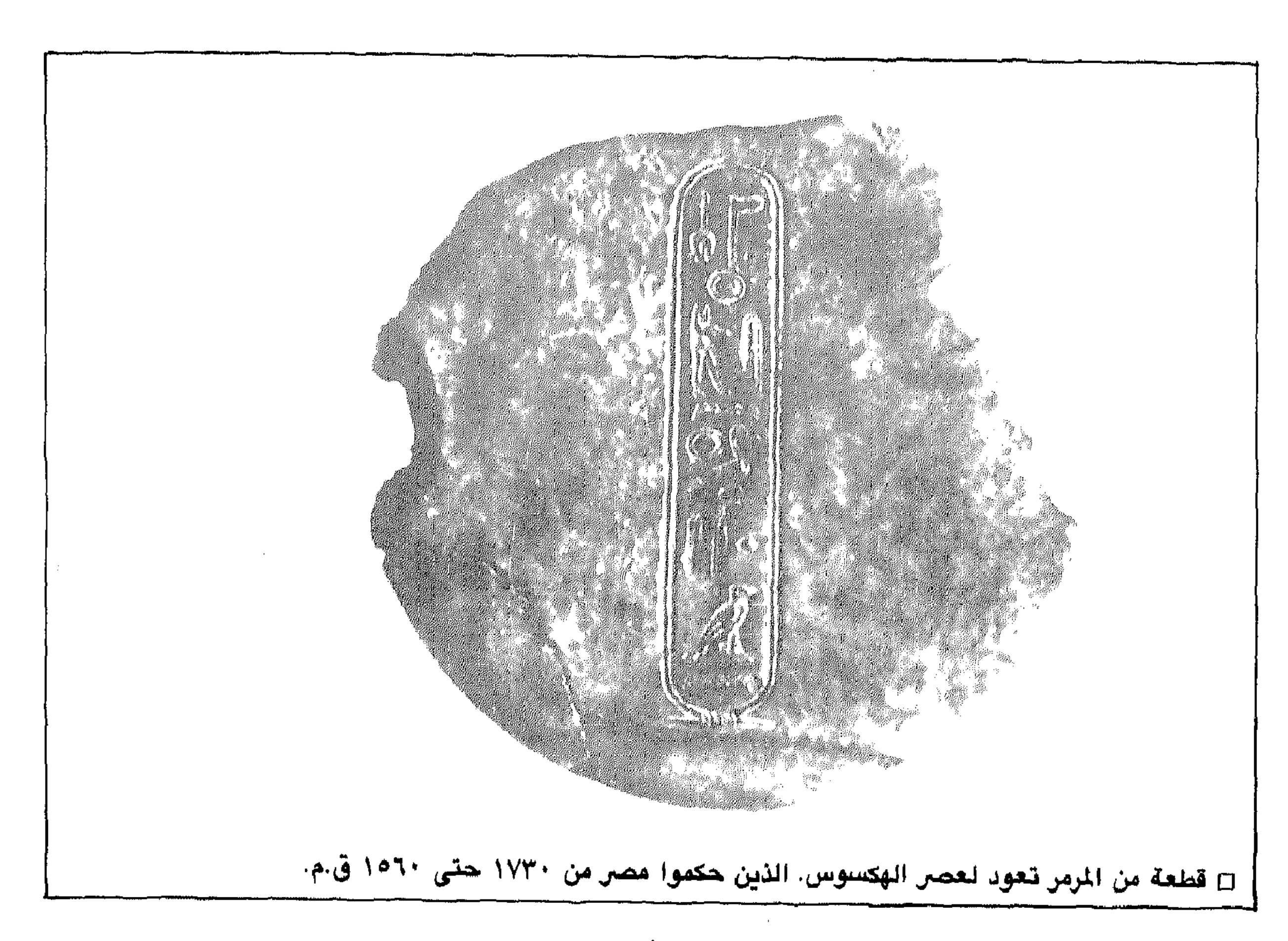
□ آثار فينيقية على احد سواحل افريقيا.

العالم إليه إلا في القرن الماضي. ومن سوء الحظ أن هذه المعرفة كانت مرتبطة بالاستغلال والاستعمار. أما المعرفة العلمية المبنية على تقصي الحقائق ونبش الآثار واستقصاء المصادر، فإنها بنت السنوات الأخيرة فقط. لكن التعرف إلى افريقية عن هذه الطريق يتسارع بشكل يدعو إلى الإعجاب أولاً ويحمل الناس على الاعتقاد بأننا في سبيل إدراك مشاكل افريقية التاريخية والبشرية عبر الآلاف الستة أو السبعة الماضية.

والأمر الذي عليه شبه إجماع هو أن افريقية هي مهد الإنسان ومنبته. «ذلك لأن العلماء عثروا في شرق أفريقية على آثار توحي بأن تقدم الإنسان وتطوره في عهده الأول في الأبد الأبيد كان هنا. ويأملون أن يعثروا يوماً قريباً على آيات بينة تؤكد هذا الذي سيتقرئونه». فآثار الإنسان التي عثر عليها في مناطق شرق افريقية تدل على انه هناك نشأ. أما الإنسان النيندرتالي الأوروبي فليس هو الأصل، على ما يرى الباحثون اليوم، لأنه أخفق في مجابهة الطبيعة ومن ثم فإنه اندثر.

ولكن متى ظهر هذا الإنسان الافريقي ـ الأصل؟ يبدو أنه قبل نحو ستين ألف سنة انتقل هذا الإنسان إلى ما يسمى الإنسان المنتصب (homo erectus). وفي أعقاب الفترة البلستوسينية (الجيولوجية)، التي انتهت قبل نحو ١٢,٠٠٠ أو ما يقرب من ذلك (وقد يكون الزمن ١٠,٠٠٠ سنة) ظهر في افريقية الإنسان الحقيقي(العاقل) وهو المسمى هومو سابينس (homo sapiens). وتلا ذلك ظهور الشعوب الافريقية الأصلية الأصيلة التي كانت تنتظمها مجموعتان أو عنصران رئيسان، وعنهما تفرعت الشعوب والقبائل الأخرى. وهما البوشمينيد وأشباه الزنوج. والمجموعة أو الفئة الأولى هي التي تطورت في الصحراء والسودان وجنوب افريقية. أما الفئة الثانية فكان تطورها في افريقية الاستوائية ولما ظهرت الصحراء الكبرى انكفأت الفئتان نحو الجنوب واستمرتا في حياة الرعي والزراعة الأولية وتدجين الحيوان.

وتدل آثار العصر الحجري الحديث



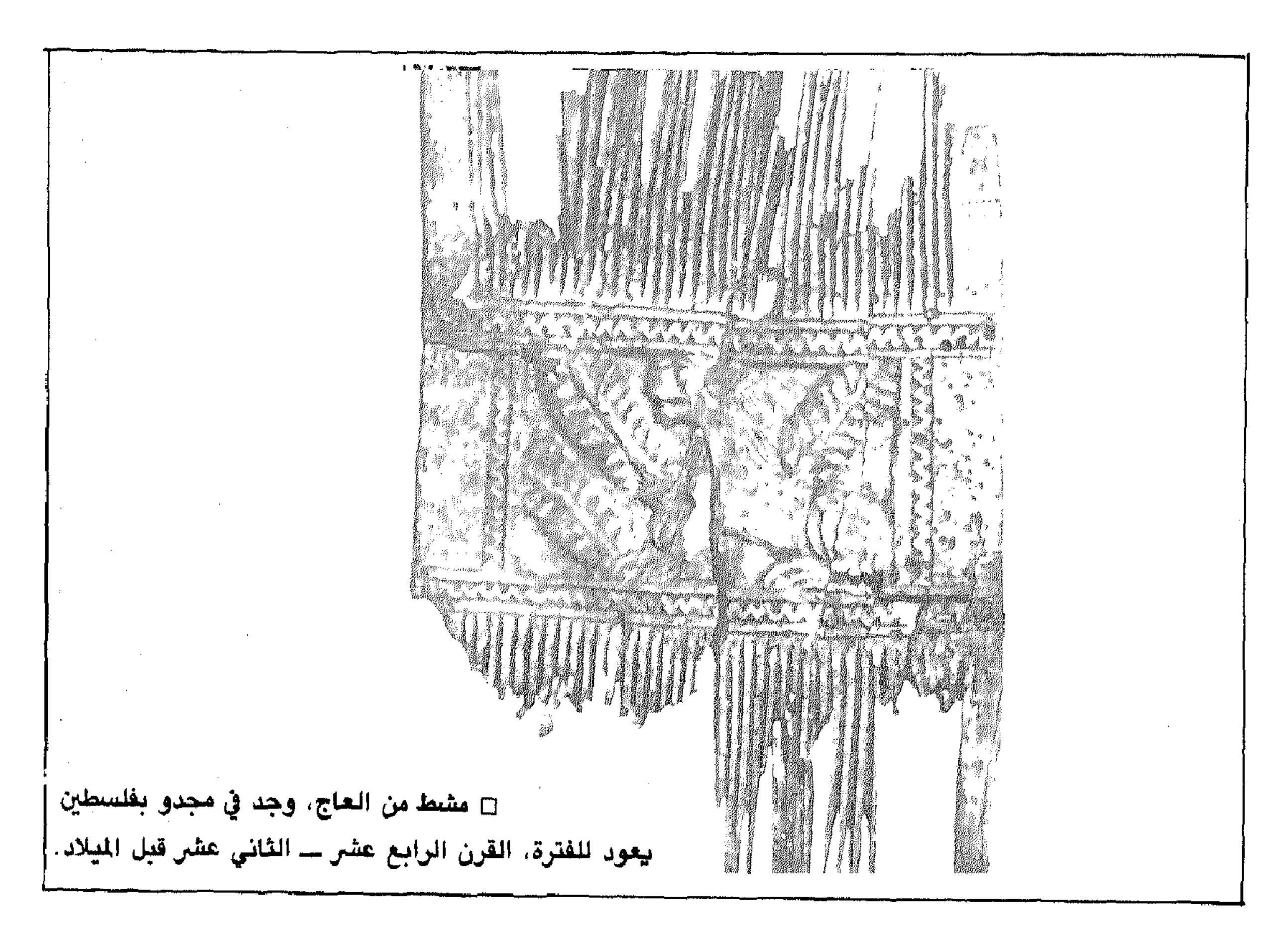
□ قطعة من المرمر تعود لعصر الهكسوس، الذين حكموا مصر من ١٧٣٠ حتى ١٥٦٠ ق.م.

(٣٥٠٠ ــ ٢٥٠٠ق) على أن البوشمينيد وأشباه الزنوج كانوا يتجاورون في الصحراء (أو فيما تبقى منها صالحاً للسكنى) وشرق افريقية وجنوبها. وهم الذين نقشوا على الصخور وصوروا حياتهم عليها، وقد مرّ بنا ذكر تَسِيْلي على أنها نموذج لهذا العمل.

أما أقوام العصر الحجري الحديث في غرب افريقية فقد أخذوا بقطع الأشجار لاستثمار الأرض هناك في الألف الثالث قبل الميلاد. ويبدو أن سكان بعض المناطق في شرق افريقية اجتثوا الغابات أيضاً، بحيث أن منطقة البحيرات الكبرى خسرت الكثير من غاباتها في الألف الأول قبل الميلاد.

وثمة عنصر آخر من سكان افريقية هم الحاميون. ولكن لا نعرف تماماً من هم. وثمة شعب البانتو وهو جماعة لعلها نتجت عن تمازج بين الزنج والحاميين. وجماعة البانتو يكثرون في الجزء الجنوبي من القارة، كما يغلب الحاميون على شمال شرقي القارة، ويسود الزنوج في غرب القارة. إلا أنه يجب أن لا يفوتنا أن هذا التقسيم لسكان القارة الافريقية الذي يلجأ إليه علماء الأجناس البشرية مرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغات المستعملة عند هذه الشعوب. وللعلماء الآن بحوث في لغات الجماعات الافريقية ذات قيمة كبيرة فيما يتعلق بتوزيع الشعوب ونمازجها وتطورها الحضاري.

في بلاد المشرق العربي الحالية تعتبر سنة ١٢٠٠ق.م. بدء العصر الحديدي. لكن في الواقع فإن استعمال الحديد لم ينتشر إلا بعد ذلك بمدة، لأن المعدن بحد ذاته ليس واسع الانتشار والذي عليه الباحثون هو أن الحديد وصل مصر في القرن الثامن قبل الميلاد، وشاع استعماله بعد ذلك بقليل. وإذا اعتبرنا كوش تتمة للحضارة المصرية، وأن الحديد انتشر من هناك إلى مناطق أواسط افريقية، فإن العصر الحديدي حديث العهد نسبياً في تلك المناطق. لكن ذلك لا يعني أنه وصل حوالي ٦٠٠ق.م. ذلك بأن استعمال آلات الحديد وأسلحته وأدواته شيء، والاهتداء إلى إذابة الحديد وتصنيعه شيء آخر. وهذان الأمران



□ مشط من العاج، وجد في مجدو بفلسطين يعود للفترة، القرن الرابع عشر ــ الثاني عشر قبل الميلاد.

لم تعرفهما كوش إلا حوالي ٣٠٠ق.م. وإذا تذكرنا أن الحكام والكهنة في كوش كانوا حريصين على الاحتفاظ بسر هذه المهنة، فمعنى هذا أن الحديد ــ إذابة وصنعاً ــ وصل إلى وسط افريقية وغربها في فترة قصيرة سابقة للميلاد. وقد يكون انتقال صناعة الحديد إلى تلك المناطق الافريقية لا من كوش ولكن من الشمال الافريقي. وحتى إذا أخذ بهذه النظرية فإن الزمن الذي وصل فيه الحديد إلى المناطق الافريقية المذكورة لا يمكن أن يختلف كثيراً عما ذكر قبلاً. لكن هذا كله دليل على بداءة العصر الحديدي في تلك الجهات، لا على الحصول على المعدن بكميات كبيرة بحيث يستطيع الجميع أن يحصلوا على أدواتها بالقدر الذي يريدون.

يبدو أن ما يسميه العلماء جنس البحر المتوسط تكون في حوض ذلك البحر حول سنة ١٥,٠٠٠ ق.م. أو بعد ذلك بمدة قصيرة. والعصور الحجرية في شمال افريقية تظهر فيها آثار حضارتين تعرف الواحدة الأورانية (حول ١٥,٠٠٠ق.م.) وكانت تتمركز في السواحل والتلال المصاقبة لها. وقد عثر على آثارها في مَشْتى العربي في شمال غرب الجزائر. ولعلّ أصل الذين صنعوا هذه الحضارة من الغرب. إلا أن بعض آثارها عثر عليها في برقة (ليبيا) ولعلّ أثرها وصل إلى مصر العليا حوالي سنة ١٠,٠٠٠ق.م. أما الحضارة الثانية فهي الكابسية (أو القفصية) التي ظهرت بين ٩,٠٠٠ و ٥,٠٠٠ق.م. وتمركزت في الأقسام الشرقية من جبال الأطلس الجزائرية ومنحدراتها نحو تونس. ويبدو أنها انتشرت شمالاً فأثرت في الحضارة الأورانية.

وقد وفد على المغرب، في الألف الثالث أو الثاني قبل الميلاد، جماعة تعرف باسم ليبو، جاءت من الشرق. وقد امتزجت هذه الجماعة بصانعي الحضارتين الأورانية والكابسية، ونتج عن ذلك البربر الذين كانوا يعمرون الشمال الافريقي في الزمن الذي أخذت بقاعه تسهم في التاريخ العالمي.

القرطاجيون واليونان في شمال افريقية

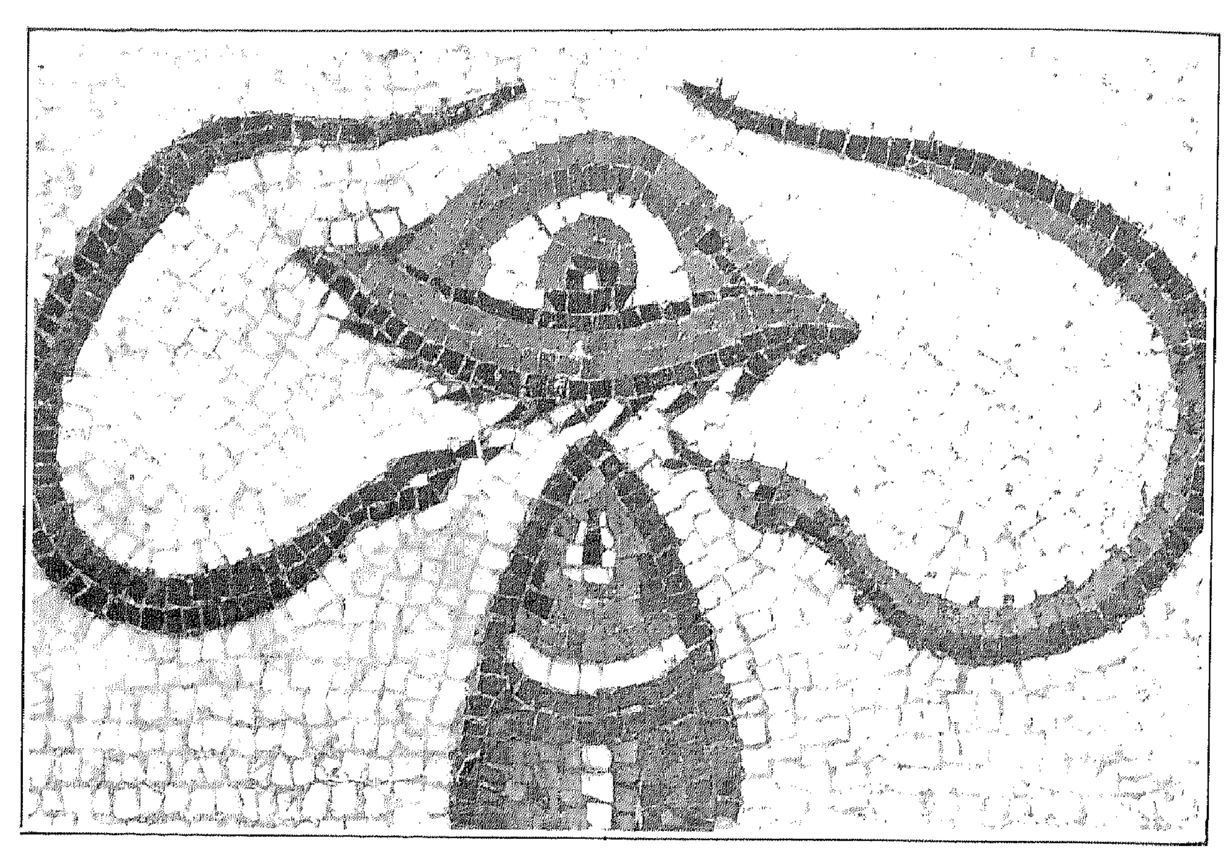
عرف العالم القديم انسياحاً للشعوب شمل مناطق واسعة منه بين سنتي ١٢٥٠ و ٩٠٠ق.م. ترتب عليه انتقال جماعات كثيرة من مواطنها الأصلية في اتجاه غربي. وكانت الجماعة الواحدة تزحم الأخرى. ويبدو أن بعض سكان العالم الإيجي تأثروا بذلك، فكان منهم شعوب البحر، التي استولت على ساحل بلاد الشام، وحاولت فئات منها الوصول إلى مصر فردت على أعقابها، واستقرت في الساحل الفلسطيني (هم الفلسطيّون الذين أعطوا اسمهم للبلاد). ولعلّ جماعات صغيرة منهم وصلت إلى الساحل الجزائري كما استقرت جماعة أخرى في الساحل التونسي الشمالي. إلا أن هذه الجماعات التي حملت معها عناصر من المدنية المنوية لم يكن لها أثر كبير على سكان البلاد. فالبربر، سكان الشمال الافريقي، بدأوا يسهمون في تاريخ تلك البلاد وما جاورها لما أنشأ الفينيقيون مستوطناتهم في الشمال الافريقي من جهة، ولما نزل اليونان برقة من جهة أخرى.

أصاب بلاد اليونان تفجر سكاني في القرن الثامن قبل الميلاد، كانت نتيجته خروج أعداد كبيرة من سكان تلك البلاد قامت بإنشاء مستعمرات يونانية في حوض البحر الأسود والبحر المتوسط. وقد بلغ هذا التوسع ذروته بين سنتي ٧٥٠ و ٥٥٠ق.م.

والذي يهمنا من هذا التوسع ما يخص شمال افريقية. وثمة مدينتان: الأولى نوكراتيس (في الجهة الغربية من دلتا النيل) التي أنشأتها مليتوس سنة ٦٤٠ق.م. والثانية قوريني التي أنشأتها جماعة من جزيرة تيرا سنة ٦٣٠ق.م. ثم انضم إلى سكانها مهاجرون من جزيرة كريت ومن المورة. وقد انصرف أهلها، بعد أن انتقلوا من الشاطىء إلى أطراف سهل برقة (الجبل الأخضر) الخصيب، إلى الزراعة فأنتجوا القمح والشعير والكرم، واهتموا بتربية المواشي والخيول، كما عنوا بالسلفيوم وهو نبات كان يستعمل عقاراً ويستخرج منه العطر. وقد أنشأ سكان قوريني مدينة برقة حول أواسط القرن السادس قبل الميلاد، كما أن مدينة يوسبيريدس (بني غازي) أنشئت بعد ذلك بقليل وكانت تعتمد على المدن الأولى سياسياً.

لم يتعد انتشار اليونان في شمال افريقية برقة. أما الجزء الغربي من ليبيا فقد كان منطقة نفوذ فينيقية. ويبدو أنه في أواسط القرن الرابع قبل الميلاد تم الاتفاق بين اليونان وجيرانهم في منطقة طرابلس على تعيين الحد الفاصل بين المنطقتين، وكان ذلك عند تلال فيلايني الواقعة على نحو ٢٠٠ كيلومتر إلى الغرب من بني غازي. أما انتشار اليونان في حوض البحر المتوسط الغربي فقد تمركز في ثلاث مناطق هي: جنوب إيطالية وجزيرة صقلية ومنطقة مساليا (مرسيليا). فلما اصطدمت مصالح هذه المدن اليونانية بالمصالح القرطاجية (تحت) ودخل الفريقان في حروب طويلة، جُرَّت المدن اليونانية في برقة إلى هذا النزاع.

كان الفينيقيون تجار حوض البحر المتوسط الشرقي حوالي سنة ١٢٠٠ق.م. إلا أنهم في الفترة التي تلت ذلك، وحتى قيام الامبراطورية الأشورية في القرن التاسع قبل الميلاد، أصبحوا تجار حوض البحر المتوسط بكامله؛ وكانت المدن الفينيقية — أرواد وسميرا وبيروت وجبيل (ببلوس) وصور وصيدا وبخاصة المدينتين الأخيرتين — تتمتع بثروة ضخمة ونفوذ تجاري كبير. وأدى قبضهم على التجارة في غرب البحر المتوسط إلى اهتمامهم بإقامة مراكز تجارية بحرية بين المدن الأصلية وبين أسواقهم في شبه جزيرة إيبريا، إذ كانوا يحصلون من ترشيش (ترتسّوس) على الفضة والنحاس والرصاص والقصدير. ومن أجل ذلك أنشأوا، في القرن الحادي عشر أول مستوطنة لهم في قادس. أما الوصول إلى الأسواق الإسبانية فقد اقتضى من الفينيقيين أن يحاذوا الشواطىء الافريقية لضمان التزود بحاجاتهم والراحة للبحارين واللجوء إلى المرافىء الأمينة في حالة قيام الزوابع



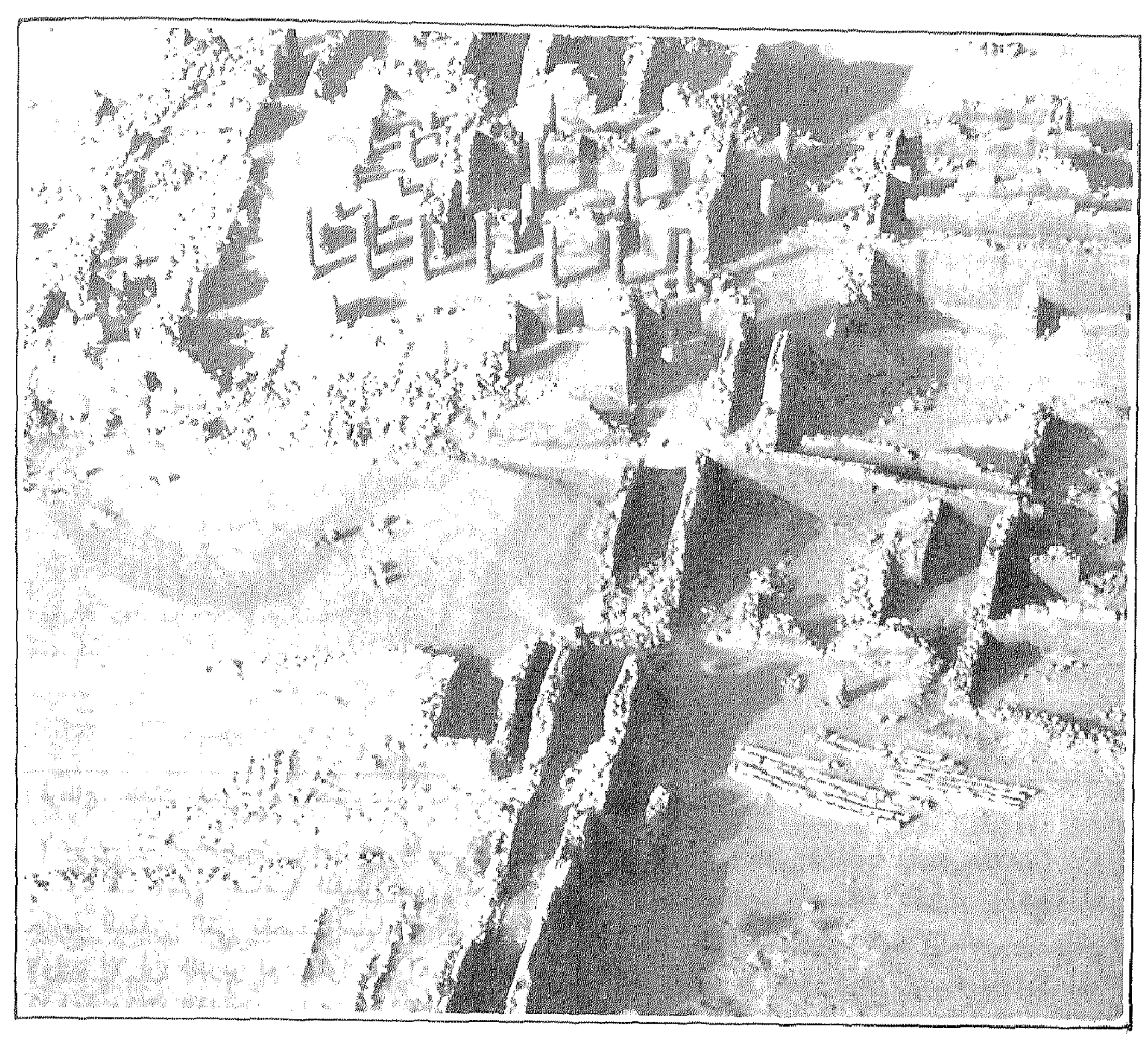
□ قرطاج، عتبات المنازل تحمل صور رموز تعويذية. (متحف سوسة ــ تونس)

والأعاصير البحرية. ومن ثم فقد كانت المستوطنات التي أقامها الفينيقيون محطات تجارية للسفن التي تقصد إسبانية بالدرجة الأولى. إلا أن البربر لم يلبثوا أن اعتادوا على مقايضة هؤلاء القادمين بما عندهم. فكان التاجر الفينيقي يقدم للسكان مصنوعاته الزجاجية والعاجية وأدوات الزينة والحلي والأقمشة، لقاء المواد الغذائية والجلود والعاج (الخام). وهكذا قامت على الشاطىء الافريقي تدريجاً المراكز الفينيقية التالية من الشرق إلى الغرب: ليبتس وأويا (طرابلس) وصبراتة وهَدْرومِتُم (سوسة) وأُتيكا وهبو (بونا أو عنابة) وشرشال وروسَدّير (مليلة)، وهذه كلها على شواطىء البحر المتوسط، كما قامت لكسوس على مقربة من العرائش الحالية، على الساحل الأطلسي. ومما لا ريب فيه أن هذه كانت نقطة الانطلاق لهم نحو القيام برحلات على الشاطىء الأطلسي جنوباً.

ومع أن هذه الأماكن تطورت فأصبحت مدناً تجارية كبيرة بسبب أنها تقع عند نهاية طريق للقوافل الآتية من الجنوب، فإن المستوطنة الفينيقية التي أصبحت مدينة كبيرة، وثم دولة وامبراطورية فهي قرطاجة (قرت حدشت).

أنشئت قرطاجة سنة ٨١٤ق.م. والقصة التي تدور حول إنشاء هذه المدينة تتلخص بأن اليسار كانت ملكة على صور وكان زو عمها. لكن أخاها ــ والقصة تسميه بِغْماليون ــ قتل زوجها واغتصب العرش، فهربت اليسار مع مؤيديها وانتهى بها المسار إلى حيث أنشأت، مع جماعتها، قرطاجة ــ القرية الحديثة.

هذه القصة الرومنطيقية لها أساس تاريخي. فالدكتور ديمتري برامكي يرى أن القضية ليست قتلاً واغتصاباً لعرش، بل إنها قضية سياسية تتعلق باحتلال أشور للمدن الفينيقية في القرن التاسع؛ ويبدو أن اليسار والحزب المؤيد لها كان يناهض الأشوريين، فرؤي أن الأفضل التخلص من هذه المعارضة، فكان أن قُتِلَ زوج اليسار (زكار ــ بعل) على يد بغماليون، الممالىء للأشوريين، والذي تولى العرش. وكان على اليسار وجماعتها أن يرحلوا عن صور ليتخذوا لأنفسهم موطناً جديداً. وهكذا كانت ولادة قرطاجة. ويبدو أن جماعة من أهل صيدا أيضاً انضموا إلى الصوريين. ولما جاء نبوخذ نصر الكلداني إلى بلاد



□ خرائب مسورات السوفا في السودان، اكبر شاهد على تمازج الثقافات القديمة.

الشام، في القرن السادس ق.م.، واستولى على المدن الفينيقية قاومته صور سنوات طويلة، فلما استولى عليها نكّل بأهلها، فهرب جماعة منهم إلى قرطاجة، التي كانت قد ازدهرت وكانت بحاجة إلى هؤلاء المغتربين. فالمستوطنات الفينيقية الأخرى لم تصل حتى ولا إلى جزء مما وصلت إليه تلك.

وقد أنشأت قرطاجة لها مراكز تجارية في جزر. صقلية وكورسيكا وسردينيا، ولعلّ دخول القرطاجيين إلى صقلية يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد. وكانت مراكزهم في الجزء الغربي من الجزيرة، لأن اليونان كانوا قد سبقوهم إلى المناطق الشرقية منها.

وقد كانت العلاقات بين القرطاجيين واليونان في صقلية وإيطالية سلمية، لكن لما زاد عدد اليونان وقويت مستعمراتهم، رأت قرطاجة خطراً على تجارتها من هؤلاء اليونان. عندها قامت العداوة فقرطاجة تدمر مستعمرة (سنة ٥٨٠ق.م.) حاول اليونان إقامتها في غرب جزيرة صقلية. وفي سنة ٥٦٠ق.م. حاول القرطاجيون انتزاع الجزيرة بأجمعها من اليونان، لكنها فشلت. ولكن القرطاجيين دمروا مستعمرة الآلّيا اليونانية (سنة ٥٣٥ق.م.) وعندها اتخذ القرطاجيون من جزيرتي غوزو ومالطة مركزين للتجارة، كما أنهم زادوا مستوطنة في جنوب إسبانية.

كانت قرطاجة، بحكم موقعها الجغرافي

المتوسط على مقربة من تونس الحاضرة، وبسبب نشاطها وثرائها أصبحت زعيمة للمستوطنات والمراكز التجارية الفينيقية في حوض البحر المتوسط الغربي. إذ أن سكان هذه الأماكن كانوا ينظرون إلى قرطاجة على أنها الحامية ضد الاعتداء الخارجي، الذي كان يونانياً يومها. ولكن ما يمكن أن يسمى معاهدات دفاعية أصلاً تطور فأصبح امبراطورية بزعامة قرطاجة فهذه المدينة كانت ثرية وقوية، وهي التي تستطيع أن تقف — وقد وقفت — في وجه التوسع اليوناني وما رافقه من اعتداء. وقد احتفظت المستوطنات بالكثير من مؤسساتها مثل مجالسها الحاكمة وموظفيها المنتخبين، وهي مؤسسات كانت قرطاجة نفسها تحتفظ بها، وكانت جميع المستوطنات الفينيقية قد نقلت هذه التنظيمات معها من المدن الفينيقية الأصلية. وكل ما كانت قرطاجة تطلبه من المستوطنات في مقابل حمايتها هو الإشراف على تجارتها الخارجية وتقديم الجنود والمال والمواد الغذائية في حالة اشتباك قرطاجة في حرب مع أعدائها وكانت الامبراطورية القرطاجية في القرن السادس قبل الميلاد تضم المدن الفينيقية على الساحل الافريقي من لِكْسوس إلى لِبتِس وتلك الواقعة على الساحل الاسباني من قادس إلى حيث بنيت فيما بعد قرطاجنة (الثانية)، والتي كانت تقوم في غرب صقلية وفي سرود وجزيرتي مالطة وغوزو والجزر القريبة من الساحل التونسي.

كانت قرطاجة تصنع أشياء قليلة وصغيرة، ولم تكن على درجة من الاتقان يتيح لها أن تبيع مصنوعاتها في الأسواق الشمالية، بل كانت تقتصر في ذلك على الأسواق الداخلية. وكانت لها تجارة مع الساحل الأطلسي. فقد وصل هانو (حنّو) خليج غينية وأنشأ مستوطنات تجارية على الساحل.

كانت قرطاجة دولة ارستقراطية في النظم والمؤسسات ولذلك لم يكن لسكانها دور في إدارتها. وكانت تعتمد على المرتزقة في جيشها. إلا أنها، بحكم نشأتها وأصلها البحريين، فقد كان لها أسطول قوي، هو الذي يسر لها، بادىء الأمر، الانتصار على خصومها من اليونان، وحتى على الرومان أولاً.

كان الساحل التونسي يستثمر في زراعة الزيتون والحبوب والأشجار المثمرة، ومع ذلك فقد ظلت الزراعة ذات مركز ثانوي بالنسبة لقرطاجة. إن المصدر الأصلي للثروة وواردات الدولة كانت التجارة. وكانوا، على العموم، تجار وساطة، وكانت المقايضة سبيل الاتجار. ولعلّ ذلك هو السبب في ان قرطاجة نفسها لم تسك النقود إلا في القرن الرابع قبل الميلاد. والمتاجر التي عرفَتها قرطاجة هي الحجار الثمينة وبخاصة الذهب والفضة، والقصدير. أما المصنوعات فكانت تُسْتَوْرَدُ من مصر واليونان وكامبانيا الإيطالية، وتصدر إلى إسبانية وسردينية والقبائل البربرية إلى الجنوب.

ومع أن القرطاجيين كانت لهم علاقات وثيقة — رغم الحروب التي كانت تستعر بين الفريقين بين الفينة والفينة — فإن تأثرهم بالمدينة الهلينية جاء متأخراً وكان ضئيلاً. فهو لم يبدأ إلا في القرن الرابع، وشمل أموراً مادية مثل الصناعات والبناء، لكنهم لم يتأثروا بالفكر اليوناني فلسفة وعلماً وما إلى ذلك وقد جاء التأثير عن طريق مصر لما اشتدت العلاقات بين قرطاجنة والبطالمة المصريين.

وقد أعجبَت قرطاجة عدداً من اليونان الذين استقروا فيها في القرن الرابع ق.م. وما بعده، كما وفدت إليها أعداد كبيرة من أصحاب المهن المختلفة إذ وجدوا فيها رزقهم. وأدى هذا إلى قيام طبقة من العمال والصناع والزراع الذين أصبح من الصعب على الحكومة الارستقراطية السيطرة عليهم. ولما كان كثير من المرتزقة في جيشها من هؤلاء، فقد أصبح الجيش، مع الزمن، يصعب ضبطه.

قرطاجة هذه بثروتها وقوتها وأسطولها وجبروتها وانتصارها على كثير من المستعمرات اليونانية. لكن منذ العقد السابع من القرن الثالث قبل الميلاد أصبحت تواجهها قوة جديدة هي روما، التي كانت أيضاً تتطلع يومها نحو غرب البحر المتوسط. وقد اشتبكت الدولتان في ثلاث حروب انتهت بتدمير قرطاجة سنة ١٤٦ق.م. وعندها بدأ دخول الشمال الافريقي تدريجاً في إطار الامبراطورية الرومانية. ●



كتب السنن والحديث كمصدر للتاريخ: صفحة من العلائق العربية - البيزنطية في السلم والحرب من خلال "سنن سعيد بن منصور"

أ. د. عمر عبد السلام تدمري

منذ سنواتٍ عدّة، وعلى صفحات هذه المجلّة الغرّاء، كنت أشدّد في مقدّمة بعض الدراسات والأبحاث على ضرورة العودة إلى مختلف المصادر المتنوّعة في تُراث امّتنا، وأن لا يقتصر اعتمادنا ــ حين نبحث في تاريخ صدر الإسلام وما عُرف بعده بالعصر الوسيط ــ على كُتُب التاريخ البحْتة، بل يجدر على البحّاثة والمؤرّخين لتلك الفترة أن يعتمدوا كلّ مصدرٍ غير «تاريخيّ» يساعد على إنماء معلوماتهم وإثرائها بالوقائع التي توفّر لهم مادّةً وفيرة من الأخبار والروايات. ومن هنا تأتي أهمّيّة العودة إلى كُتب التراجم والطبقات والأنساب، وكُتب الأدب ودواوين الشعراء، وكتب السُنَن والحديث والفقه، وكتب الرحلات والجغرافية والبلدان، وكتب المعاجم والمصطلحات، وغيرها، في رفْد كتب التاريخ بالمعلومات الثّرّة.

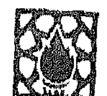
وفي هذه الدراسة سوف نتعرّف على صفحة من العلائق العربية ــ البيزنطية، سلْماً وحرباً، في القرن الأول الهجري، من خلال كتابٍ في السُنَن والحديث النبويّ الشريف، هو كتاب «سُنَن سعيد بن منصور».

ولمّا كانت حقْبة الصراع (العربي ــ البيزنطي) تُعتبر من أكثر الحقب التاريخية غموضاً في كثيرٍ من جوانبها، فإنّ كتاب «ابن منصور» في الأحاديث والسُنَن يحتلّ مكان الصدارةً بين أهمّ المصادر التاريخية المعروفة التي ترصد ذلك العصر بكلّ صدقٍ وأمانة في الرواية الموثّقة بالسند على الطريقة «الحديثية»، والتي كانت الركيزة الأسّ التي نهض عليها فنّ التأريخ عند العرب والمسلمين.

وسألخّص أهمّيّة هذا الكتاب في أمرين رئيسيّين:

أوّلهما: إنه من أقدم المصادر العربية المدوَّنة في تاريخ علم الحديث.

ثانيهما: إنه مصدر مهمّ لتاريخ الحياة اليومية والاجتماعية في عصر الصحابة، وفيه معلومات تاريخية نادرة لم أقف عليها في جميع كتب التاريخ المعروفة التي اطّلعت عليها حتى الآن.



أما المؤلّف فهو الإمام الحافظ سعيد بن منصور بن شُعْبة الخُراساني المكّي المتوفّى سنة ٢٢٧هـ / ٨٤٢م. من معاصري المؤرّخ «محمدين سعد» صاحب «الطبقات الكبرى»، و «الإمام البخاري» صاحب «التاريخ الكبير» و «الصغير» و «الصحيح». وهو شيخ للإمام مسلم. وُلد بجَوْزَجان ونشأ ببَلْخ، وطوّف البلاد، وسكن مكة حتى تُوفّي بها. وكان أخذ على أئمّة الحديث، مثل الإمام مالك، واللّيث بن سعد، وأبي عوانة، وأبي معشر، وابن إياد، وغيرهم. وروى عنه الأئمّة، مثل الإمام أحمد، والإمام مسلم، والإمام أبي داود، وغيرهم. ووُصف بأنه كان: ثقة من المتقِنين الأثبات، ممّن جمع وصنّف. أملى نحواً من عشرة آلاف حديث من حِفْظه. وعُرف بـ: صاحب السُنَن المشهورة، التي لا يشاركه فيها إلّا القليل.

أمّا كتابه «السُنَن» فهو كتاب ضخمْ، لم يُعثر منه حتى الآن سوى على المجلّد الثالث فقط، وهو يتضمّن أبواب: الفرائض، الوصايا، النكاح، الطلاق، الجهاد. وهذا الباب الأخير هو الأهمّ الذي يعنينا في هذه الدراسة.

وقد اكتشف البحّاثة الدكتور محمد حميد الله نسخة فريدة من المجلّد المخطوط في مكتبة «كوبريلي» باستانبول سنة ١٣٨٠هـ. وقام بالتعريف بها وبصاحبها، ثم قام المحقق المحدّث «حبيب الرحمن الأعظمي» بتحقيق هذا المجلّد ونشره في قسمين، سنة ١٣٨٧هـ. وصدّره بمقدّمة للدكتور محمد حميد الله. اقتطِفُ منها الفقرات التالية لأهمّيّتها:

«.. إنّ مؤلّفنا يذكر ــ سوى الأحاديث النبوية ــ كثيراً من آثار الصحابة، وإنّ تحقيق ما هو جديد عنده ولم يُذكر في كتبٍ أخرى أمر يحتاج إلى بحثٍ خاصّ. ولكن يمكن لكلّ قارىء، ولو بنظرة عابرة، أن يجد في كتاب النكاح والطلاق مثلاً قضايا الحياة اليومية في عصر سيّدنا عمر، قضايا وقعت حقيقة وليست مفروضة، كما هو الحال في كتب الفقه، وهذه القضايا والحوادث مصدر مهمّ لتاريخ الحياة اليومية والاجتماعية في عصر الصحابة. وفعلاً وجدت معلومات مهمّة لم أكن أعرفها من قبل، من مصادر أخرى، وكذلك في كتاب «الجهاد» نجد صدى العلائق الدولية، خاصّة مع الفرس والروم البيزنطينيّين، وفيها حوادث لا نجدها في كتب التاريخ المتداوَلة.

وثانياً: إن فُضَلاء الإفرنج كانوا فكّروا ــ كما هو معروف ــ أنّ ما ذكره المحدّثون من أمثال البخاري ومسلم وغيرهما ــ ممّن وصلت إلينا كُتُبُهم ــ لا يصحّ انتسابه إلى النبيّ عليه السلام، حتى ولا إلى الصحابة رضي الله عنهم، بل هؤلاء المحدّثون (البخاري ومسلم وغيرهما) إمّا أنهم اخترعوا واختلقوا المتون والأسانيد من عند أنفسهم، وإمّا أنهم نقلوا في تآليفهم ما كان متداوَلاً على ألْسُن الناس في عصرهم، مما هو بالمعارف الشعبية وبالفولكلور أكثر شبهاً منه بالتاريخ. وكان أساس ادّعاء هؤلاء المستشرقين أنه لا يوجد كتب مَن كان قبل البخاري ومسلم، وأنه لا توجد حجّة على أنّ أسماء مَن ذكروا في الأسانيد مطابقة لحقيقة الحال.

من المعلوم، لو أننا طبّقنا العُشر العُشيْر من أصول هذا النقد الإفرنجي على كتب الإفرنج من اليهود والنصارى، وعلى كُتُب المجوس والبراهمة وغيرهم من الكتب الدينية ـــ فضْلاً عن عامّة كُتُبهم التاريخية ـــ لم يَثْبُتْ على النقْد منها شيء يُعتدّ به، ولكن لا نحتاج إلى مثل هذا الهجوم وإلزام الخصم بغير ما هو بصدده، بل نجيب كما يجاب على سؤآل سائل، فنقول: إنّ مثل هذه الاحتمالات لا ينتهض أمام ما اكتُشِف في السنين الأخيرة من كتب القدماء، من حسن

حظّ العلم والتاريخ، فمثلاً يقول البخاري: «عن أحمد بن حنبل، عن عبد الرزّاق بن همّام، عن مَعْمَر بن راشد، عن همّام بن منبّه، عن أبي هريرة، عن النبيّ عليه الصلاة والسلام...». فما دام لم يوجد لدينا إلّا «صحيح» البخاري، جاز مثل هذه الشكوك والشُبهات، أمّا الآن «فمُسْنَد» أحمد بن حنبل مطبوع، و «مصنّف» عبد الرزّاق، و «جامع» مَعْمَر بن راشد كلاهما تحت الطبع [أقول: هذا في وقته، وقد طُبعا]، و «صحيفة» همّام بن منبّه مطبوع، ونرى عند المقابلة والمعارضة بينهما أنه لا يوجد أيّ فرق بينهما في الروايات المتعلّقة البتّة، فإذا فات الشرط فات المشروط، فبطُل زعْم من زعم أنّ متون البخاري وأسانيده مختَلَقة...

وكذلك الحال لصحيح الإمام مسلم بن الحَجّاج، فمن أساتذته سعيد بن منصور، ولعلّ يوماً من الأيام نعثر أيضاً على مؤلّفات الوسائط بين سعيد بن منصور، والنبيّ عليه السلام، فالحلقة الأولى من هذه السلسلة، لثاني الصحيحَيْن، صحيح مسلم ـــ وهي حلقة ثمينة جدّاً ـــ اكتشفت الآن ونتشرّف بتقديمها إلى أهل العلم، فكلّما روى مسلم عن سعيد بن منصور يمكن لنا أن نراجع سُنَن سعيد، ونتحقّق أنّ الإمام مسلم لم يكذب ولم يخترع شيئاً من عند نفسه، بل أدّى إلى مَن بعده ما تلقّى ممّن قبله بكل ديانة وأمانة»[1].

إنّ هذه المقدّمة النقديّة والعلمية الرائعة التي كتبها العلاّمة الدكتور محمد حميد الله قبل نحو ثلاثين عاماً، لم أطالعْها إلّا الآن ونحن في الأيام الأولى من العام الهجري ١٤٠٨ (أواخر شهر آب ـــ أغسطس ١٩٨٧) وهي تؤكّد قناعتي بضرورة الاعتماد والرجوع إلى كُتُب السُنَن والحديث وغيرها من كتب المعارف العربية كمصدرٍ أساس من مصادر التاريخ.

ومنْ حُسْن الحظّ أن عثر الدكتور البحّاثة على القسم الذي يتضمّن باب «الجهاد» من كتاب «السُنَن»، وفيه عدّة أحاديث وروايات تتناول نصوصها صدىً لبعض العلاقات الدولية بين المسلمين والفرس، من جهة، وبين المسلمين والبيزنطيين (الروم) من جهة ثانية، فضلاً عن علائق المسلمين بالمجوس، والنصارى، واليهود.

وسوف يقتصر بحثنا هنا على جوانب من العلائق العربية ـــ البيزنطيّة، وما يتعلّق بها، حيث تتزامن هذه الدراسة مع انعقاد «مؤتمر تاريخ بلاد الشام» الذي تشهده الجامعة الأردنية في أواخر هذا العام، وقد خُصّصت أبحاث المؤتمر لدراسة العصر الأموي وما يقابله من العصر البيزنطي.

وأتناول في هذه الدراسة أحد عشر نصّاً من (باب الجهاد)، بعضها يتردّد في المصادر القديمة، وبعضها لم أجده في أيّ مصدرٍ أو مرجعٍ آخر حتى الآن. منها:

في عهد عمر الفاروق (٥) نصوص (رقم ٢٤٧٧ و ٢٦٠٥ و ٢٧٨٥ و ٢٧٨٧ و ٢٧٨٨).

وفي عهد عثمان (١) نصّ (رقم: ٢٦٦).

وفي عهد معاوية (٢) نصّان (رقم ٢٦٤٧ و ٢٦٤٨).

وفي عهد عبد الملك (١) نصّ واحد (رقم ٢٩٢١).

وفي عهد عمر بن عبد العزيز (٢) نصّان (رقم ٢٧١١ و ٢٨٢٢).

وطريقتي في العرض هي إثبات كلّ نصّ على حِدَة، ثم التعليق عليه.

في عهد الفاروق عمر

(رقم ٢٦٠٥) ــ حدّثنا سعيد قال: نـا[٣] عيسى بن يـونس، قال نـا[٢] الأوزاعيّ قـال: حدّثني ابن سُراقة:

أنّ أبـا عُبيـدة بن الجـرّاح كتب لأهـل دير طيايا:

«هذا كتاب من أبـي عُبيدة لأهل دير طيايا، إنّي قد أمّنتكم على دمائكم، وأموالكم، وكنائسكم أن تُسْكن أو تُخَرَّب ما لم تُحْـدِثوا، أو تـأووا محـدّثاً مُغيلة[٣]، فـإذا أنتم أحدثتم أو آويتم محدثاً مُغيلة[٣] فقد برِئت منكم الذِّمّـة، وإنّ عليكم إقراء الضيف ثلاثة أيام، وإنّ ذمّتنا بريّة من مَعَرَّة الجيش.

شهد خالد بن الوليد، ويزيد بن أبـي سُفيان، وشُرَحبيل بن حَسَنَة، وقُضاعِيّ بن عامر».

التعليق على النّصّ:

إنّ هـذا النصّ من كتاب أبـي عُبيـدة بن الجرّاح لأهل دير طيايـا، يُعتبر نصّـاً فريـداً لم نجده في جميع المصادر الأخرى. حتى أنّ الدكتور محمد حميد الله مكتشف كتاب «سُنَن سعيد بن منصور» لم يذكر نصّ هذا الكتاب في «مجمـوعة الوثـائق السياسيـة للعهد النبـويّ والخلافة الراشدة»[٤]. والذي ذكرته المصادر نصّ معاهدة خالد بن الوليد مع أهل دمشق في سنة ١٣هـ. وهو قريب من كتاب أبـي عبيدة لأهل دير طيايا، وفي المعاهدة بالإضافة إلى خالد: أبو عبيدة، وشُرَحْبيل، وقُضاعِيّ بن عامر. وقد رواه الإمـام الأوزاعيّ، عن ابن سُراقـة، أي بالإسناد نفسه الذي في «سُنن ابن منصور»[٥].

أمّا «دير طيايا» فلم يذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» كما لم تذكره كتب الديارات، ولكنّ البـلاذُريّ يأتي على ذكـره في سياقـه لفتوحات أبـي عُبيـدة بن الجرّاح في نـواحي مدينة حلب، كما يذكر الدير «قُدامة بن جعفر» الذي ينقل عن «البلاذُري».

قال البلاذُريّ:

«وبلغ أبا عُبَيدة أنّ جَمْعاً للروم بين مَعَرَّة مِصْرين وحلب، فلقِيَهم وقتل عدّة بطارقة، وفضّ ذلك الجيش وسبـى وغنِم، وفتح مَعَرَّة مِصْرين على مثل صلح حلب، وجالت خيوله فبلغت بُوقاً، وفُتحت قرى الجومة وسَرْمِين ومَرْتحوان وتِيزين. **وصالحوا أهل دير طيايا** ودير الفسيلة على أن يَضِيفوا من مرّ بهم من المسلمين، وأتاه نصارى خُناصرة فصالحهم»[٦].

«**وأقول**»: بما أنّ «البـلاذريّ» توفي سنـة ٢٧٩هـ. على الأرجح، فهو قد اطّلع على «سُنَن ابن منصور» بشكلٍ أو بآخر، فاعتمد عليه في ذكر «دير طيايا»، وإن كان لم يُشِر إلى ذلك، ولم ينقل نصّ كتاب العهد. والخلاصة التي نصل إليها هي أن كتاب «السُنن» يوثّق كتاب «الفتوح» في هذه المعلومة حول الدير، على الأقلّ.

(رقم ٢٧٨٥) ــ حـدّثنا سعيـد قـال: نـا ابن عيّـاش[٧]، عن أبـي بكر بن عبـد الله بن أبـي مريم:

أنّ نساءً من المسلمين شهدن اليرموك مع أبـي عُبيدة بن الجرّاح، فكان بعضهنّ يقاتلنّ، وبعضهنّ يسقين المـاء، ويرتجـزْن ويقُلْن في ارتجازهنّ:

إنّـكـم إنْ تـقـاتـلـوا نُـعـانـقْ ونـفـرش الـنـمـارقْ[٨]

وإلاّ تـقـاتـلـوا نُـفـارقْ فِـراق غـيـر وامـقْ[٩]

التعليق على النّصّ:

إنّ هذا النّصّ يعطينا ومضة مشـرقة عن النساء العربيّات المسلمات اللواتي خرجن مع المقاتلة للجهاد في بلاد الشام ضدّ الروم في موقعة اليرموك الفاصلة، فكان بعضهـنّ يقاتلن، وبعضهنّ يسقين الماء. ولم تُرْهبهنّ جموع الروم وجحافل الإمبراطورية.

أمّا الرجْز الذي كُنَّ يقُلنه في هذه المعركة، فهو مشهور عن «هند بنت عُتبة» وصواحبتها في غزوة أُحُد سنة ٣هـ. وهو:

نحن بنات طارق
نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق[10]

وحديث «ابن منصور» لم نجده عند غيره، وخصوصاً عند مَن أرّخوا لمعركة اليرموك، وإن كنّا نجد في كتاب «تاريخ فتوح الشام» للأزْدي معلومة تشير إلى اشتراك المرأة العربية في تلك المعركة، وهو يذكر «خَوْلة بنت ثعلبة بن مالك بن الدُخْشُم» التي أقبلت نحو فئة من المسلمين انهزموا أمام الروم، وهي تحمل عموداً تحثّهم على العودة إلى القتال، وكانت ترتجز بقولها:

يا هارباً عن نسوةٍ تقيّات
رُميتَ بالسَّهْم وبالمَنِيَّات
فعن قليلٍ ما ترى سَبِيَّات
غير حظيّات ولا رضيّات[11]

(رقم ٢٧٨٧) — حدّثنا سعيد قال: نا إسماعيل بن عيّاش، عن عمرو بن مهاجر، عن أبيه:

أنّ أسماء بنت يزيد الأنصارية شهدت اليرموك مع الناس، فقتلت سبعة من الروم بعمود فسطاط ظِلّتِها.

* * *

وهذا الحديث يؤكّد ما رواه الحافظ الطبراني، وهو يجعل قتلى الروم «تسعة». وقد رواه عن أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، عن أبيه، عن إسماعيل بن عيّاش، وبقيّة السند كما في «سُنَن ابن منصور»[12].

(رقم ٢٧٨٨) — حدّثنا سعيد قال: نا ابن عيّاش، عن ضمضم بن زُرعة، عن شُريْح بن عُبَيد الحضْرميّ، أنّ عبد الله بن قرْط الأزدي حدّثه قال:

غزوت الروم مع خالد بن الوليد، فرأيت نساء خالد بن الوليد ونساء أصحابه مشمّرات يحملن الماء للمهاجرين يرتجزن.

* * *

وهذا الحديث يؤكّد ما جاء في الحديث الأسبق (٢٧٨٥) عن معركة اليرموك.

(رقم ٢٤٧٧) — حدّثنا سعيد قال: نا أبو الحتروش شملة بن هزال قال: نا قتادة، أسند الحديث إلى عمر بن الخطّاب أنه كان له بريد يختلف بينه وبين ملك الروم، وأنّ امرأة عمر رضي الله عنه استقرضت ديناراً، فاشترت به عطراً، فجعلت في قوارير، فبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم، فما أتاها به فرّغتهنّ، وملاتهنّ جوهراً، وقالت: إذهب به إلى امرأة أمير المؤمنين عمر، فلما أتاها به فرّغتهنّ على بساطٍ لها، فدخل عمر على تغيئة[13] ذلك، فقال: ما هذا يا هذه؟ قالت: إني استقرضت من فلان ديناراً، فاشتريت به عطراً، فجعلته في قوارير، وبعثت به — تعني مع بريدك — إلى امرأة ملك الروم، فأرسلتْ به إليّ، فقال عمر عند ذلك: يا فلان! خذ هذا فاذهب به، فبعْه، فاقْضِ به فلاناً ديناراً، واجعل بقيّته في بيت مال المسلمين، ليس آل عمر أحقّ به من المسلمين.

* * *

التعليق على النّصّ:

يدلّ هذا النّصّ على أنّ العلاقات بين المسلمين والروم لم تكن عدائية بشكلٍ دائم، بل كانت المراسلات والهدايا متبادلة في عهد الخليفة عمر، بينه وبين ملك الروم (هِرَقْل)، وبين زوجته (عاتكة بنت زيد العدوية) — على الأرجح، وزوجة الإمبراطور (مارتينا).

وما جاء في سُنن ابن منصور يؤكّد صحّة ما ذكره المحبّ الطبري حيث يُثبت الحديث نفسه في كتابه[14].

في عهد عثمان

(رقم ٢٦٦٠) — حدّثنا سعيد قال: نا عبد الله بن المبارك، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جُبير بن نُفَير، عن أبيه قال:

لما فُتحت مدائن قبرس، وقع الناس يقتسمون السبْي، ويفرّقون بينهم ويبكي بعضهم على بعض، فتنحّى أبو الدرداء ثم احتبى بحمائل سيفه فجعل يبكي، فأتاه جُبير بن نُفير فقال:



□ فلس عربـي بيزنطي (القطر ١٩ملم) الوجه والخلف.

ما يُبكيك يا أبا الدرداء؟ أتبكي في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟ وأذلّ فيه الكفر وأهله! فضرب على منكبيه، ثم قال: ثكلتْك أمُّك يا جُبير بن نُفير، ما أهْوَن الخلق على الله إذا تركوا أمره، بينا هي أمّة قاهرة ظاهرة على الناس، لهم المُلْك، حتى تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى، وإنه إذا سُلّط السباء على قوم فقد خرجوا من عين الله ليس لله بهم حاجة.

التعليق:

من المعروف أنّ جزيرة قبرس هاجمها المسلمون مرّتين في خلافة عثمان رضي الله عنه، الأولى في سنة ٢٨هـ / ٦٤٩م. والثانية في سنة ٣٣هـ / ٦٥٤م. وقد نصّت المصادر التاريخية على اشتراك أبي الدرداء في الحملة الأولى، ولم تنصّ عليه في الحملة الثانية، ولكنّ رواية ابن منصور في سُننه ورواية من جاء بعده تجعلنا نؤكّد اشتراك أبي الدرداء في الحملة الثانية أيضاً. وأنّ المسلمين عادوا من الجزيرة بالأسرى والغنائم، حيث أخرجها معاوية إلى أنطرطوس من ساحل حمص وجعلها في كنيسة هناك يُقال لها كنيسة معاوية، ثم قام بتوزيعها على المقاتلة[١٥].

والرواية عند ابن منصور تؤكّد ما رواه: الإمام أحمد بن حنبل، وأبو زُرْعة الدمشقي، وأبو نُعَيم الأصبهاني[١٦].

في عهد معاوية

(رقم ٢٦٤٧) ــ حدّثنا سعيد قال: نا إسماعيل بن عيّاش قال: حدّثني صفوان بن عمرو، وحريز بن عثمان:

أنّ جُنادة بن أبي أميّة الأزدي، وعبد الله بن قيس الفَزّاري وغيرهما من وُلاة البحر من بعدهم كانوا يرمون العدوّ من الروم وغيرهم بالنار ويحرقونهم، هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء.

(رقم ٢٦٤٨) ــ حدّثنا سعيد قال: نا إسماعيل بن عيّاش، عن صفوان بن عمرو، عن المشيخة،

عن عبد الله بن قيس الفزاري أنه كان يغزو على الناس في البحر على عهد معاوية، وكان يرمي العدوّ بالنّار ويرمونه ويحرّقهم ويحرّقونه. وقال: لم يزل أمر المسلمين على ذلك.

التعليق:

يؤكّد النّصّان السابقان على استخدام المسلمين للنار في حروبهم البحرية مع الروم البيزنطيّين، وأنّ النار الإغريقية التي استخدمها الأسطول البيزنطي كانت تجد نيراناً مماثلة لها من مراكب المسلمين، منذ أن أنشأ المسلمون أسطولهم البحريّ في أول خلافة عثمان، علماً بأنّ عبد الله بن قيس الفَزاريّ كان يتولّى إمرة السواحل منذ عهد الخليفة عمر في سنة ١٧هـ. وبقي أكثر من (٤٠) عاماً والياً على السواحل حتى أواخر عهد معاوية. كما كان «جُنادة» على غزو البحر أيام معاوية كلّها، وقبل ذلك كان على عهد عثمان وبقي إلى أيام يزيد بن معاوية. وهو الذي فتح جزيرة رودس سنة ٥٣ أو ٥٤هـ / ٦٧٤م[١٧].

في عهد عبد الملك

(رقم ٢٩٢١) ــ حدّثنا سعيد قال: نا إسماعيل بن عيّاش، عن صفوان بن عمرو:

أنّ الروم حربوا[١٨] إصطيبان الأحزم (كذا) ــ وكان ملكهم ــ وألقوه في جزيرة من جزائر البحر، فمرّ به بَحّار فعرفوه، فحملوه حتى أخرجوه إلى أرض حوران، فأتى محمد بن مروان فاستغاث به، وكان يدعوه أخي، فقال اصطيبان لمحمد بن مروان: أتأذن لي بالدخول في السير في أرضك حتى أنفذ إلى أرض الروم؟ فقال: لا أستطيع أن آذن لك حتى يأذن لك أمير المؤمنين، فقال إصطيبان: إنّي قد عاهدت الله لئن ردّني إلى مُلكي لا أدع في أرض الروم مسلماً يصلّي [إلى] القِبلة إلّا أعتَقْتُه وجهّزته، على أن يقاتلوا معي. فاستأذن له محمد بن

مروان عبدّ الملك بن مروان، فأذِن له، فعبر في أرضــه حتى بلغ أرض الروم نحـو ارمينيــة الرابعة[١٩]. فاستنصر المسلمين، فقاتلوا معه حتى ظفر بعدّوه من الروم، وجعل يقتل عدّوه وأصحاب شوكته حتى ظهر عليهم، واستمكن من ملكهم ودانت له أرض الروم، فأعتق عند ذلك أسارى المسلمين، أتى بهم من أرض الروم كلّها فأعتقهم وحملهم حتى بلغوا أرض قِنّسـرين، وأعـطاهم خمسـة دنـانيـر، واستحسن ذلك عبد الملك والمسلمون.

التعليق على النصّ:

لا أبالغ إذا قلت إنّ هذا الخبر نادر وفريد في آنٍ، وإنّني لَعَلَى يقينٍ من أنّ الباحثين في تاريخ العلاقات العربية ــ البيزنطية يؤيّدونني في ذلك. حيث لم أجد هذا النصّ في المصادر العربية ولا في المصادر اليونانية.

والخبـر يتعلّق بـالإمبـراطور البيـزنـطي «جو ستنيان الثاني» المعروف بالأخرم، وقد ورد في الطبع خطأً «الأحزم» وهو تحريف، ويسمّيه «ابن منصـور»: «إصطيبـان». فـالمعـروف أن البيـزنطيين قـامـوا بثـورة ضدّ الإمبـراطور «جـو ستنيان» وخلعـوه عن العرش في سنـة ٧٦هـ / ٦٩٥م. وجـدعوا أنفـه ولذلك عُـرف بالأخرم، ونُفي إلى جزيرة «خرسون» في شبه جزيرة القرم[٢٠].

وإذا كانت المصادر التـاريخية اليـونانيـة تتحـدّث عن إقامتـه في الجزيـرة حتى سنة ٧٩هـ / ٦٩٨م. ثم خروجه منها إلى امبراطورية الخَـزَر حيث استقبله خـاقـانهـا بـالتـرحيب والتشـريف وزوّجـه أختـه، ومـا أثـارتـه تلك التطوّرات من مخاوف لدى حكّام القسطنطينية، حيث طلبوا من خاقان الخَزَر إبعاده أو تسليمه إليهم حيّاً أو ميتاً لقاء جائزة سنيّة. وفيما كان الملك ماضياً في تنفيذ المؤآمرة علمت بها أخت الملك التي هي زوجة جوستينيان، ففرّ بقارب صيدٍ إلى منفاه القديم جزيرة خرسون، واستطاع بعد مغامرات عدّة أن يبلغ الساحل الغربـيّ للبحر الأسود وأن يقيم علاقات ودّية مع تريفل خاقان البلغار كيما يساعده في استعادة ملكه.

فإذا كانت المصادر اليونانية قد ذكرت ذلك كلّه، فإنّها تقفز فجأة من فوق أحداث سنة ٦٩٨ إلى سنة ٧٠٥م. لتتحدّث عن ظهوره أمام أسوار القسطنطينية مع تريفان خاقان البلغار، حيث اقتحم العاصمة البيزنطية واستردّ عرشه في السنة ٧٠٥م.[٢١]. ولقد أغفلت تلك المصادر هذه الواقعة المهمّة التي ذكرها «ابن منصور» في «السُنَن»، حيث أسهم المسلمـون بشكلٍ أو بآخر في استعادة جوستنيان للعرش، وظهر أن الإمبراطور كان على علاقة وطيدة وحميمة مع محمد بن مروان حتى كان يخاطبه بأخي. وكان محمد أخاً لعبد الملك الذي ولّاه على إقليم الجـزيـرة الفـراتيـة وارمينيـة وضُمّت إليـه أذْربَيْسجان في سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م. وبقي على ولايتـه حتى مـات عبـد المـلك والوليـد بن عبد الملك[٢٢].

وما جاء في حديث «ابن منصور» يدلّ على تحـوّلٍ واضحٍ في العـلائق بين عبـد الملك والإمبراطور جوستينيان الذي كان بـدأ عهده بـإظهـار العـداوة للمسلمين، فـأخـرج الروم والجراجمة والأنباط والعبيد الأباق لقتالهم في سنة ٦٩هـ / ٦٨٩م[٢٣].

في عهد عمر بن عبد العزيز

(رقم ٢٧١١) ــ حـدّثنا سعيـد قـال: نـا إسماعيل بن عيّاش، عن الأوزاعيّ قال:

لما أقفل عمر بن عبد العزيز الجيشَ الذي كانوا مع مَسْلَمَة، كُسِر مركب بعضهم، فأخذ المشركون ناساً من القبط وكانوا خدماً لهم، فخرجوا يوماً إلى عيـدهم وخلّفوا القبـط في مركبهم، وشرب الآخرون، ورفع القبط القِلْع[٢٤]، وفي المـركب متاع الآخرين وسـلاحهم، فلم يضعوا قِلْعهم حتى أتوا بيروت، فكُتب ذلك إلى عمر بن عبد العزيز، فكتب عمر: نفّلوهم المركب وما فيه وكلّ شيءٍ جاؤا به إلّا الخُمُس.

التعليق:

وهذا نصّ فريد آخر يُتحفنا به «ابن منصور»، ويُثْري معلوماتنا عن ثغور الساحل الشامي ودورها في الصراع العربي ـ البيزنطي، وعن دور الأقباط في الغزوات البحرية للأسطول الإسلامي. والخبر هذه المرّة يرويه الإمام الأوزاعيّ الذي رابط ببيروت وتوفي بها سنة ١٥٧هـ. وكان معاصراً لوقائعه، ومشاهداً عياناً.

ويأتي هذا الخبر الواضح ليؤكّد ما ذهبتُ إليه في البحث الذي قدّمته إلى المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام المنعقد بالجامعة الأردنية في سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. بعنوان «الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق (لبنان)» حيث أوردت عدّة نصوص من المصادر التاريخية المختلفة التي تعطي للأقباط حضوراً في التاريخ الإسلامي وخاصّة في العصر الأموي، حيث أخلصوا في خدمة المسلمين فقادوا مراكبهم وقاتلوا البيزنطيّين معهم في عدّة مواقع. وها هو «ابن منصور» عن طريق «الأوزاعي» يضيف إلينا نصّاً ثميناً عن اشتراك القبط في غزوة مَسْلَمَة بن عبد الملك إلى القسطنطينية التي أمر بها الخليفة سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٧هـ / ٧١٦م. وقد خرج مَسْلَمة في البرّ، بينما خرج عمر بن هُبيرة الفزاري في البحر، ومعه بحّارة وغُزاة من طرابلس الشام وغيرها، ومات الخليفة فيما كان مَسْلمة وابن هُبَيرة لا يزالان عند أسوار القسطنطينية، وحين تولّى عمر بن عبد العزيز الخلافة في أوائل سنة ٩٩هـ / ٧١٨م. أمرهما بالعودة. فيكون تاريخ الخبر الذي رواه الأوزاعيّ إذن في السنة المذكورة[٢٥]. وهذا يعني أنّ الأقباط ظلّوا يسهمون في الغزو مع المسلمين، منذ فتح في خلافة الفاروق عمر، وحتى آخر القرن الأول الهجري، على الأقلّ. وقد أسهم لهم عمر بن عبدالعزيز نصيبهم من الغنائم، كما أسهم لهم معاوية من قبل حين عودته من غزوة قبرس[٢٦].

(رقم ٢٨٢٢) ـ حدّثنا سعيد قال: نا ابن عيّاش، عن عبد الرحمن بن أنعم، عن المغيرة بن سَلَمَة،

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال: لمّا بعثه عمر بن عبد العزيز بفداء أسارى المسلمين من القسطنطينية قلت له: أرأيت يا أمير المؤمنين إنْ أبَوْا أن يفادوا الرجلَ بالرجل كيف أصنع؟ قال عمر: زدهم، قلت: إن أبَوْا أن يُعْطوا الرجل بالاثنين؟ قال: فاعطِهم ثلاثاً. قلت: فإن أبوا إلّا أربعاً؟ قال: فاعطهم لكلّ مسلم ما سألوك، فَوَاللَّهِ لَرَجلٌ من المسلمين أحبّ إليّ من كلّ مشركٍ عندي، إنّك ما فديت به المسلم فقد ظفرت، إنّك إنّما تشتري الإسلام. قلت: النساء! قال: نعم، إفْدهن بما تفدي به غيرهنّ. قلت: أرأيتَ إن وجدت امرأةً تنصّرت فأرادت أن ترجع إلى الإسلام؟ قال: إفْدِها بمثل ما تفدي به غيرها. قلت: أفرأيت العبيد أفديهم إذا كانوا مسلمين؟ قال: افدِهم بمثل ما تفدي به غيرهم. قلت: أفرأيت إن وجدت منهم من قد تنصّر، فأراد أن يراجع إلى الاسلام؟ قال: فاصنع بهم ما تصنع بغيرهم.

فصالحتُ عظيم الروم على كلّ رجلٍ من المسلمين، رجلين من الروم.

قال إسماعيل: وزاد فيه ناس من أصحابنا عن عبد الرحمن أنه سأل عمرَ بنَ عبد العزيز عن أهل الذمّة. فقال: افدِهم بمثل ما تفدي به غيرهم.

* * *

التعليق:

وهذا نصّ آخر لم أجده في أيّ مصدرٍ آخر. وهو يؤكّد على شدّة اهتمام الخليفة عمر بن عبد العزيز بفداء الأسرى المسلمين لدى البيزنطيّين. حتى أنه أشار بفداء أهل الذمّة أيضاً.

فقد ورد في المصادر التاريخية عدّة أخبار عن حرص عمر على إطلاق الأسرى، أذكر منها ما يلي:

● قال أبو الفرج الأصبهاني: أخبرني الحسن قال: أخبرنا الغَلَابـيّ، عن ابن عائشة، عن أبيه،

أنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى بقُسْطنطينية: أمّا بعد، فإنكم تعدّون أنفسكم أسارى ولستم أسارى. مَعَاذ الله! أنتم الحُبَساء في سبيل الله. واعلموا أنّي لست أَقْسِم شيئاً بين رعيّتي إلّا خصَصت أهلكم بأوفر ذلك وأطيبه. وقد بعثت إليكم خمسة دنانير، خمسة دنانير، ولولا أنّي خشيتُ إنْ زدتُكم أن يحبسه عنكم طاغية الروم لزدْتكم. وقد بعثت إليكم فُلان بن فلان يُفادي صغيركم وكبيركم، ذَكَرَكم وأُنثاكم، حُرَّكم ومملوككم بما يُسأل، فأبشروا ثم ابشروا(٢٧).

«وأقول»: إنّ هذا النّصّ لا يفصح عن اسم رسول عمر إلى الإمبراطور، بينما يسمّيه «ابن منصور» في سُنَنه، وهو «عبد الرحمن بن أبـي عمرة».

وورد في سيرة عمر لابن الجوزي أنّ عمر وجّه «عبد الأعلى بن أبـي عمرة» رسولاً إلى طاغية الروم يدعوه إلى الإسلام(٢٨). فهو إذن «عبد الرحمن» أو «عبد الأعلى»، وكان له عشرة أولاد.

● وروى أبو عبد الله محمد، عن أبيه أبـي محمد عبد الله بن عبد الحكم المتوفى سنة ٢١٤هـ. قال:

«أرسل عمر بن عبد العزيز إلى صاحب الروم رسولاً، فأتاه وخرج من عنده يدور، فمرّ بموضع، فسمع فيه رجلاً يقرأ القرآن ويطحن، فأتاه فسلّم عليه، فلم يردّ عليه السلام ــ مرّتين أو ثلاثاً ــ ثم سلّم عليه، فقال له: وأنّى بالسلام في هذا البلد؟ فأعلمه أنه رسول عمر إلى صاحب الروم. فقال له: ما شأنك؟ فقال: إنّي أُسِرْت من موضع كذا وكذا فأُتي بـي إلى صاحب الروم فعرض عليّ النصرانيّة، فأبيت، فقال لي: إن لم تفعل سَمَلت عينيك. فاخترت ديني على بصري، فسَمَل عينيّ وصيّرني إلى هذا الموضع، يرسل إليّ كلّ يوم بحنطة فأطحنها وبخُبزة فآكلها. فلما سار الرسول إلى عمر بن عبد العزيز فأخبره خبر الرجل، قال: فما فرغت من الخبر حتى رأيت دموع عمر قد بلّت ما بين يديه.

ثم أمر فكتب إلى صاحب الروم:

أمّا بعد، فقد بلغني خبر فلان بن فلان، فوصف له صفته، وأنا أُقسِم بالله لئن لم ترسل إليّ لأبعثنّ إليك من الجنود جنوداً يكون أوّلها عندك وآخرهم عندي.

فلما رجع إليه الرسول قال: ما أسرعَ ما رجعت! فدفع إليه كتاب عمر بن عبد العزيز، فلما قرأه قال: ما كنّا لنحمل الرجل الصالح على هذا بل نبعث إليه به. فأقمتُ أنتظر متى يُخرج به، فأتيته ذات يوم فإذا هو قاعد قد نزل عن سريره أعرف فيه الكآبة، فقال: تدري لِما فعلت هذا؟ فقلت: لا، ــ وقد أنكرت ما رأيت ــ فقال: إنه قد أتاني من بعض أطرافي أنّ الرجل الصالح قد مات، فلذلك فعلتُ ما رأيت. ثم قال: إنّ الرجل الصالح إذا كان بين القوم السّوء لم يُتْرك بينهم إلّا قليلاً حتى يخرج من بين أظهرهم. فقلت له: أتأذن لي أن أنصرف؟ ــ وأيست من بعثه الرجلَ معي ــ فقال: ما كنّا لنُجيبه إلى ما أمر في حياته ثم نرجع فيه بعد مماته. فأرسل معه بالرجل»(٢٩).

● وروى الأوزاعيّ، عن سليمان بن حبيب المحاربي ــ وكان قاضياً لعمر بن عبد العزيز ــ قال:

كتب إليّ عمر بن عبد العزيز: أن أجز للأسير ما صنع في ماله، فهو ماله يفعل به ما يشاء(٣٠).

● وروى الأوزاعيّ أيضاً فقال:

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمّاله: أن فادوا بأسارى المسلمين وإنْ أحاط ذلك بجميع مالهم(٣١).



الهوامش

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية ـ فرع طرابلس. مشرف على الدكتوراه والماجستير بالفرع الأول، بيروت. عضو الهيئة الاستشارية للمنشورات التاريخية في اتحاد المؤرّخين العرب. المدير المسؤول لرابطة إحياء التراث الفكري في طرابلس والشمال.

(١) أنظر مقدمة الدكتور محمد حميد الله في «سُنن سعيد بن منصور» في القسم الأول من المجلّد الثالث، الذي نشرته دار الكتب العلمية ببيروت (١٤٠٥هـ./١٩٨٥م.) مصوّراً عن الطبعة الأصلية الصادرة بحيدر اباد. ص ٢٢ ــ ٢٤ وما قبلها في مصادر الترجمة لابن منصور.

(٢) اعتمد المحدّثون طريقة في السند مثل: «نا» وهي اختصار لكلمة «أخبرنا»، و «ثنا» اختصار «حدّثنا»، و «نبا» اختصار «نبّأنا» او «انبأنا».

(٣) المُغيلة: الخيانة.

(٤) اعتمدت في هذا على الطبعة الثالثة من الكتاب (١٣٨٩هـ./١٩٦٩م.) طبعة دار الإرشاد ببيروت، ولا أدري إن كان الباحث الفاضل قد ذكر النصّ المذكور في طبعة لاحقة.

(٥) أنظر حول معاهدة خالد مع أهل دمشق: تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١/١٤٩ وفيه: «قُضاعة» بدل «قُضاعيّ»، وفيه ان الكتاب بتاريخ شهر رجب من سنة ١٤هـ. ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٤/٢٠٥ وفيه: «كُتب سنة ثلاث عشرة، أخرجه أبو موسى. قلت: في هذا نظر، فإنّ التاريخ لم يكن يُعرف في خلافة أبـي بكر وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما، ثم أُحدِث بعد ذلك، والله أعلم». وفتوح البلدان للبلاذُري ١/١٤٤، والخراج وصناعة الكتابة لقُدامة بن جعفر ٢٩٢، وكتاب الأموال لابن سلّام رقم ٥١٩، وكتاب الأموال لابن زنجويه (مخطوطة بوردور، بتركيا) ورقة ٧٢ أ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣/٢٣٦ رقم ٧١١٥، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله ــ ص ٣٧٤، ٣٧٥ رقم (٣٥٢) الطبعة الثالثة.

(٦) فتوح البلدان للبلاذري ١/١٧٦ رقم (٤٠١) ــ الخراج وصناعة الكتابة لقدامة ٣٠٤، ٣٠٥ وفيه «دير طايا».

(٧) هو اسماعيل بن عيّاش، مفتي أهل حمص ومحدّث الشام. وُلد سنة ١٠٦ وتوفي سنة ١٨١هـ. أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ــ ج ١/٤٧٨، ٤٧٩ رقم (٣١٦) ــ طبعة المركز الإسلامي للإعلام والإنماء ببيروت ١٤٠٤هـ./١٩٨٤م.

(٨) النمارق: مُفردها نمرقة، وهي الطنفسة، أو الوسادة.

(٩) الوامق: المحبّ.

(١٠) انظر هذا الرجز في: سيرة ابن هشام ٣/١٥١، والسير والمغازي لابن إسحاق ٣٢٧، والمغازي للواقدي ١/٢٢٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٤٠، والاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البرّ ٤/٤٢٥، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/٣١٧ رقم ٦٨٩، تاريخ الطبري ٢/٥١٠، البدء والتاريخ للمقدسي ٤/٢٠١، وثمار القلوب للثعالبـي ٢٩٧ رقم ٤٤٩، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/١٥٣، واسد الغابة لابن الأثير ٥/٥٦٢، ونهاية الأرب للنويري ١٧/٩٠، وتاريخ الإسلام للذهبـي (المغازي) بتحقيقنا ــ طبعة دار الكتاب العربـي، بيروت ١٩٨٧ ــ ص ١٧٢، وعيون التاريخ للكتبـي ١/١٥٨، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/٣١، والبداية والنهاية له ٤/١٦، وعيون الأثر لابن سيّد الناس ٢/٢٥، والروض الأنف للسُهَيلي ٣/١٦١.

(١١) فتوح الشام للأزدي ٢٢٣.

(١٢) أنظر الحديث في: المعجم الكبير للطبراني ٢٤/١٥٧ رقم ٤٠٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/٢٦٠، والإصابة لابن حجر ٤/٢٣٥، وشرح السير الكبير للشيباني ١/١٨٥.

(١٣) يقال: دخل على تفيئة فلان، أي على أثره.

(١٤) الرياض النظرة في مناقب العشرة، للمحبّ الطبري ــ ج ٢/٤٨، أخبار عمر لعلي وناجي الطنطاويين ٣١٤.

(١٥) حلية الأولياء لأبـي نعيم ٥/١٣٤.

(١٦) انظر كتاب الزهد للإمام احمد (ت: ٢٤١هـ.) ــ ص ١٧٦، وتاريخ ابـي زُرْعة (ت: ٢٨١هـ.) ج ١/١٨٧ رقم ٩٥، وحلية الأولياء لابـي نُعَيم (ت: ٤٣٠هـ.) ج ١/٢١٦، ٢١٧.

(١٧) أنظر عن جُنادة وعبد الله بن قيس وغيرهما من وُلاة بحر الشام وغُزاته في عهد معاوية، دراسة لنا نُشرت في هذا المجلّد، العدد (٣٨) لسنة ١٩٨١ وانظر ما رواه سلمة بن الأكوع في شرح السير الكبيرة ٤/١٤٦٩.

(١٨) يقال حرب الرجل إذا سلبه ماله وتركه بلا شيء، فالمعنى هنا سلبوه مُلكه.

(١٩) قيل ارمينية اربع أرمينيات، ومن الرابعة مدينة شمشاط وقاليقلا وغيرهما.

(٢٠) Ostrogorowski — p. 123, 124، الروم وصِلاتهم بالعرب للدكتور أسد رستم ١/٢٦٩، ٢٧٠، الدولة البيزنطية للدكتور السيد الباز العريني ١٤٧.

(٢١) Dunlop — The History of the Jewish Khazars — p. 172.

(٢٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة الظاهرية بدمشق) ١٥/٤٧٣ ب ــ ٤٧٥ أ.

(٢٣) أنظر تفاصيل ذلك في كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ــ الطبعة الثانية، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان بطرابلس ١٤٠٤هـ./١٩٨٤م. ــ ص ١٢٨ ــ ١٣٤ وراجع المصادر في الحواشي.

(٢٤) القِلْع: شراع السفينة.

(٢٥) أنظر حول حصار القسطنطينية في هذه الغزوة: الحلقة الثانية من دراستنا بعنوان: غُزاة بحر الشام وأمراؤه في العصر الأموي، ونشرت في العدد (٣٩) من هذه المجلّة، ففيها مصادر أساسية.

(٢٦) حلية الأولياء لأبي نعيم ٥/١٣٤، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/١١٦، ١١٧ الطبعة الثانية.

(٢٧) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ٩/٢٦٥، ٢٦٦، وسيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ١٤٤، ومختار الأغاني لابن منظور ٥/٣٤.

(٢٨) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ٢٦٢.

(٢٩) السيرة لابن عبدالحكم ١٤٨، ١٤٩، وبعض الخبر عند ابن الجوزي ٣٣٠، ٣٣١.

(٣٠) السيرة لابن الجوزي ١٠٦.

(٣١) السيرة لابن الجوزي ١٢٠.

● «الرجال هم الذين يصنعون التاريخ وليس العكس، ففي الفترات التي لا تتقدم ولا تتطور فيها القيادة يظل المجتمع متوقفاً تماماً. ويطرأ التقدم حينما تصبح الفرصة مواتية لقادة جريئين، بارعين يستطيعون تغيير الأمور نحو الأفضل».

(هاري س. ترومان)

● «يعرف الرجل العظيم بثلاث علامات: الكرم في القصد، والانسانية في التنفيذ، والتواضع عند النجاح».

(بسمارك)

● «المدير الناجح هو الذي يمتلك الحاسة الكافية لاختيار الرجال القادرين على تنفيذ ما يريد عمله، ويقدر على كبح نفسه من الدخول وسطهم أثناء قيامهم بالعمل».

(تيودور روزفلت)

● «إن العالم إذا ما تحرر من خوف العوز والعدوان، أصبح بلا شك مكاناً يستحق أن يعيش الانسان فيه، لأنه عندها لن يعاني ما يعانيه اليوم من فروق بين الطبقات الاجتماعية، ولن يخشى على ذريته غائلة الحاجة، ولن يكون فريسة للطمع والرغبة في التفوق. إن هذه النزوات سوف تتسامى وتتحول إلى عواطف أكثر نبلاً ونفعاً».

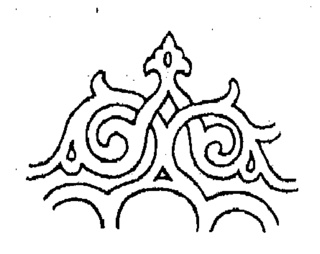
(برتران راسل)

● «إن أقسى عقاب ينزل بالكذاب.. ليس هو عدم تصديق الناس له.. وإنما هو عدم استطاعته تصديق أحد...».

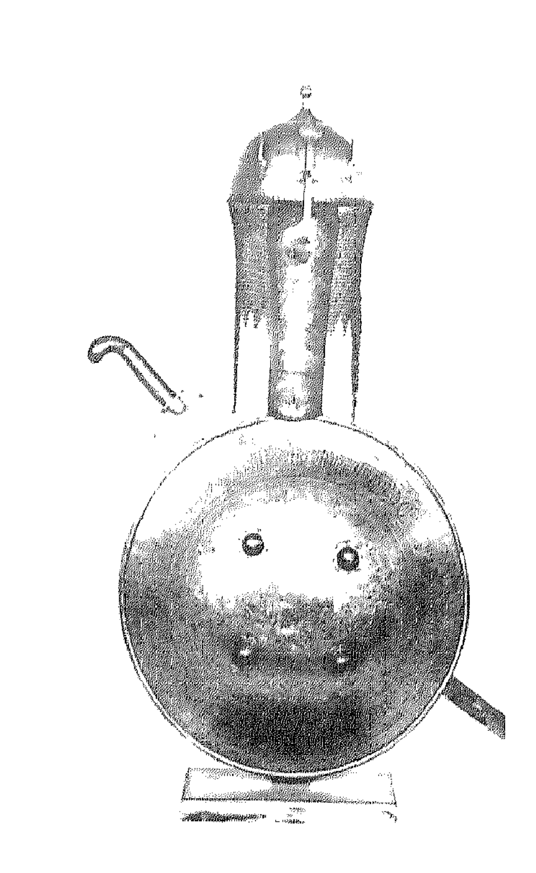
(برنارد شو)

● «من يسأل سؤالاً يصبح غبياً لمدة خمس دقائق.. ومن لا يسأل يظل غبياً إلى الأبد».

(مثل صيني)



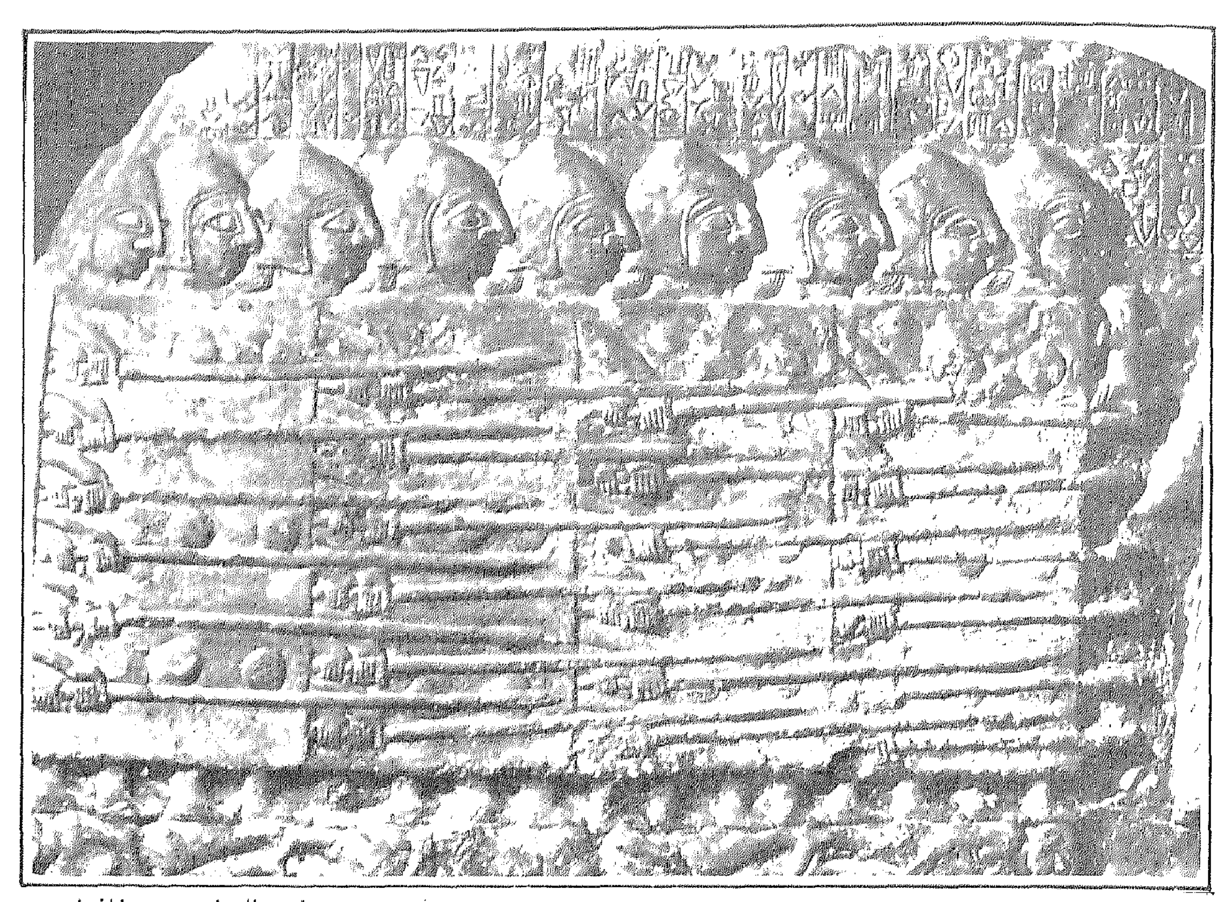




هاني أبو غربية

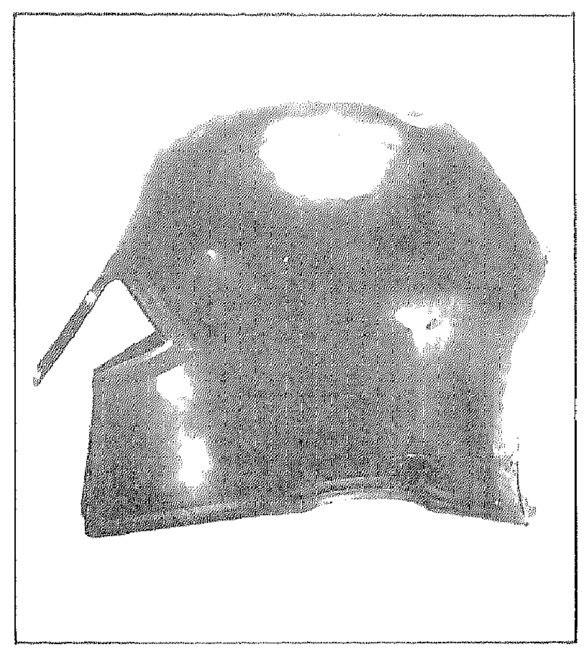
عندما تعلم الإنسان استعمال المعادن ليصنع منها سلاحه، فقد خطا خطوة تكنولوجية هامة في اكتشافه هذا، لقد أصبح قادراً على صنع العديد من أنواع السلاح بتصاميم مختلفة ومعادن متنوعة لمختلف الأغراض والأهداف، فمنها ما كان للقطع وما كان للطعن والرماية. ومن ثم راح يصنع هذه الأدوات بكثرة وقد كان لاكتشاف معدن النحاس والبرونز الأثر البالغ في تنمية حضارات الشعوب القديمة عبر التاريخ البشري. إن اهتمامنا وتركيزنا في هذه الدراسة السريعة عن اكتشاف وتطوير الدروع الجسدية التي ظهرت مع ظهور الأسلحة الدفاعية والهجومية منذ بداية التاريخ وحتى عصرنا هذا.

لقد تم إدخال الكثير من التطوير والتعديل على هذا الاختراع منذ ظهوره واستعماله وكان للعديد من الشعوب أدوار في إدخال الجديد على هذه الدروع حسبما تعلموه من حروبهم مع أعدائهم. وقد جاء هذا التطوير متلازماً مع اكتشاف الإنسان كيف يصنع السلاح وكيف يدافع عن نفسه ضد أعدائه. لكن ليس هنالك تاريخ دقيق أو محدد أو حتى درع أولى لنبدأ، إذ أن العودة إلى تاريخ المنشأة الحقيقي لهذه الدروع غير واضحة، فكل شعب يدعي أنه هو الذي اخترع الدروع وغيرهم اقتبسه عنهم. لذلك فإننا سنبدأ بالقطع التي نالت شهرة في عصرها من حيث استعمالها.



□ لوحة معدنية من العام ٢٥٠٠ق.م. تظهر أسلوب الدفاع وتحمل بطول الجسم، ويحارب الجندي من خلفها

من هنا فقد كان للدروع الايطالية ذات النظام الدائري شهرة واسعة وقد أُطلق على هـذا النـوع من الدروع اسم «مكسميليان ستايـل»، وهو يتميز بسلسلة اضلع متوازية من النحاس تغطي سطح الدرع ما عدا درع الساق. إلا ان الاضلع لم تكن مرتبة ومصففة باحكام لكنها مع ذلك كانت تؤمن قوة مماثلة في الدفاع لما تؤمنه شرائح الحديد المموجة. وقد استمرت شهرة «المكسميليـان ستايـل» حتى عام ١٥٣٠م، حيث بدأ البحث عن مواد جديدة خفيفة واكثر فعالية في صناعة الدروع وهكذا بدأت رحلة تطوير الدروع. وبرغم من ان اتجاه التيار كان يهدف لتأمين دروع قوية وخفيفة في الوقت ذاته تعطي الجندي والفارس القدرة على المطاعنة بالسيوف والتثاقف بالرماح فقد كانت النتيجة عكسية، إذ ان الدروع الجديدة التي ظهرت في القرن السادس عشر كانت اكثر تعقيداً من سابقتها، لكن اسلوب صنـاعة هـذه الدروع والدراسة التي وضعت في تصميمها اظهرت تقدم صانعيها في زمنهم. فالهدف كان بالنسبة لهم تأمين الحماية للجندي أو الفارس إلى أقصى درجة ممكنة ضد كافة أنواع الاسلحة المستخدمة في تلك الحقبة من التاريخ. السيوف، الخناجر، السهام، الرماح، الاحجار، الكرات الحـديديـة المسمرة وقذائف المنجنيق، كان على الدرع أن يصدها، ولهـذا فقد طوَّر الايـطاليون الدروع الجسدية بتكثيف الاضلع النحاسية والحديدية باسلوب متوازن وثابت بحيث تتسبب بانزلاق ضربة السيف مثلاً عن الأماكن الحساسة وغير المصفحة تصفيحاً متيناً، فمثلاً سلسلة اضلع متوازية على الكتف والرقبة تزلق ضربة السيف عن الرقبة، ولم يكن لهذا النوع من الدروع إلا نقطة ضعف واحدة وهي الوزن الثقيل الذي يعوق حركة المحارب، لكن الايطاليين فضلوا ضعف الحركة الجسمانية على ضعف الدروع الجسدية، فالحماية القصوى والإقلال من عدد الضحايا في المعارك كان هدفهم الاول، وبرغم من ذلك فقد اشتهر هذا النوع من الدروع في معظم القارة الاوروبية وعرف باسم «ثلث ارمور»



□ الخوذة الكورنتية المصنوعة من البرونز.

الدروع الألمانية

ومن جهة اخرى كان الألمان يتسابقون مع الايطاليين في صناعة الدروع، فالدروع الألمانية كانت تعرف «بالغوثك» وكانت تتألف من قطعتين عند الصدر مع خصر مزموم تنحدر من فوقهما شرائح النحاس والحديد مصفوفة بشكل مترابط، وكانت الدروع تشمل السواعد والاكتاف والساق والقدم ثم اضاف الألمان إلى ذلك خوذة مصفحة عرفت «بالساليت» لحماية الجمجمة والرقبة والوجه، فكانت تنحدر بتدرج من اعلى الرأس حتى الرقبة مشكلة مذنباً من الخلف وقناعاً حديدياً عند الوجه، وقد أخذت هذه الخوذة شهرة واسعة في القرن السادس عشر.

ومن ناحية اخرى، كانت صناعة الدروع تتطلب مواد اولية ضرورية في تصنيعها، فالحديد، والنحاس، والفحم والخشب، والجلود كانت أهم هذه المواد في التصنيع، لذلك فقد اشتهرت بعض المدن الاوروبية في هذا العمل لتوفر الامكانات لهذا المجال، اوغسبرغ، نورنبرغ، باسو وسولينجن في المانيا، باريس في فرنسا، ميلان في ايطاليا كانت من أشهر المدن في العصور الوسطى لنوعية دروعها وسلاحها، وقد عمدت كل مدينة إلى انتاج وتطوير الدروع الخاصة بها بشكل مميز وفريد وكل واحدة كانت تؤثر وتوحي للاخرى بأفكار التطوير والتحسين. وبهذا التمازج في الصناعة استطاع مصنعو العلب الحديدية أي الدروع إلى اعطاء مرونة عالية للمحارب برغم من كساء معظمهم جسده بالحديد الثقيل، فكان الفارس بلباسه العسكري الكامل والدروع والسلاح يستطيع أن يتحرك حسبما يشاء، فبامكانه الجلوس، الوقوف، التمدد، الجري وحتى امتطاء الفرس والنزول عنها، دون عناء أو اعاقة.

ولقد شهد القرن الخامس عشر مرحلة قطف ثمار الابحاث التي أُجريت لانتاج أفضل الدروع الجسدية الواقية، حيث أصبح المحارب مجهزاً تجهيزاً كاملاً من حيث السلاح والحماية الجسدية بالرغم من تغليفه كلياً تقريباً بالحديد. فدرع الصدر كان يغطي الصدر بكامله وامتد الدرع الواقي حتى الاكتاف والظهر، ولم يعد التدريع يقتصر على حماية الصدر والظهر بل تعداه ليبلغ اسفل الجسم كالحوض الاسفل والارجل والسواعد وذلك بإبدال نظام التدريع السابق المعروف «بدرع السلحفاة» واستبداله بما توصلت إليه طاقة الفكر البشري في ذلك الوقت، حيث تم اتباع اسلوب جديد للتدريع وهو تحويل درع السلحفاة إلى درع متكسر أي تصنع الدروع من قطع معدنية صغيرة بأحجام متوازية ومتساوية وتصفف بشكل انسيابي مع الواحدة فوق الاخرى وبعدها، مما يؤمن نسبة مرتفعة في القدرة على الحركة والمناورة اثناء المعارك وخصوصاً لاعضاء الجسم التي تتطلب تدريعاً مرناً قوياً وخفيفاً في الوقت ذاته، كالسواعد، والخصر والارجل، والرأس. ونشير هنا إلى أن هذا الاسلوب من التصميم في انتاج الدروع ما يزال يتبع حتى في عصرنا هذا لكن مع المزيد من التطوير والتحسين. وهكذا ومع هذا التطور الذي توصل إليه الانسان في تلك الحقبة من التاريخ، لم يعد من الضروري على المحارب أن يحمل درعاً متحركاً في يده الذي كان يسبب له اعاقة تامة في حركة سواعده لانه وجب عليه أن يحمله باستمرار في يده ويحارب باليد الاخرى، مما يجعله ضعيف القدرة على المناورة. بالاضافة إلى هذا المبدأ المتطور في تصنيع الدروع في ذلك الزمان، كان هنالك نظريات اخرى ملساء ومنحنية مما يجعلها قادرة على رد الضربات وازلاقها عن الهدف وقد تزامنت مع هذه الدروع، الخوذ المدرعة والتي تم

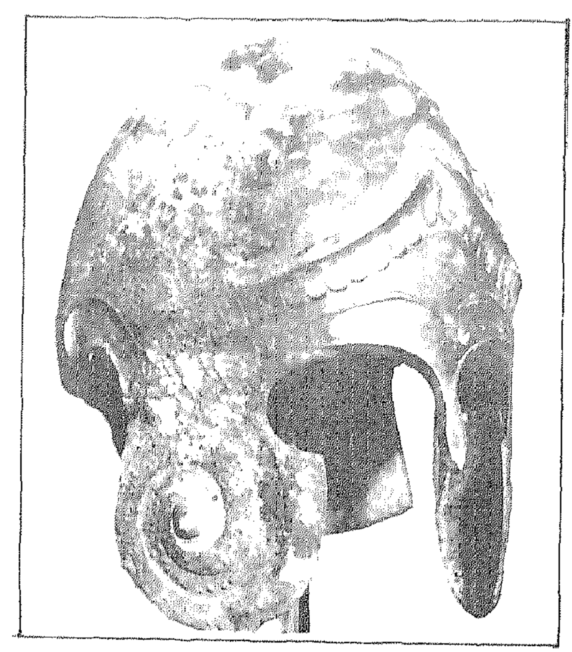
تحسينها أيضا لتتماشى مع تطور الدروع الجسيمة، حيث ادخلت تعديلات على شكل الخوذ فصممت بشكل انسيابي يساعد على تأمين انزلاق تام لاي ضربة على الرأس والوجه.

مع حلول القرن السادس عشر، بدأ استعمال معدن جديد هو البرونز في تصنيع الدروع، والخوذ، وكانت بداية ادخال هذا المعدن الجديد من خلال الخوذ، حيث وضعت أول خوذة من البرونز، بطريقة جديدة ومختلفة عن سابقتها، إذ أن الخوذ كانت تصنع قطعاً كبيرة ثم تركب على بعضها بدعائم أو بتلحيمها والاخريات. أما الخوذة البرونزية فقد تم صبها في قالب يأخذ شكل الرأس وبهذا تصبح الخوذة البرونزية قطعة واحدة صلبة من الصعب تحطيمها وقد تم دفع درع الوجه الموصول بالخوذة إلى الامام أكثر لحماية الوجه من التهشم من أي صدمة قوية. ومزيداً على ذلك تم تغليف الخوذة من الداخل بالجلد والقماش لتشكل فاصلاً مريحاً بين الخوذة والرأس، اثناء وضعها على الرأس واثناء تلقي الضربات خلال المعارك. وقد عرفت هذه الخوذة بالخوذة «الكورنشية». لكن هذه الخوذة تم تطويرها أكثر بسبب بعض نقاط الضعف فيها. وهي صعوبة التنفس، والرؤية والسمع الواضح لصغر فتحات التهوية والرؤية، وقد جاءت الخوذة الجديدة أفضل بكثير بعد تحسين هذه المسائل وقد عرفت الخوذة الجديدة باسم «كالسيديان»، واستعملت لفترة طويلة من الزمن.

أهم أنواع الدروع

لا بد في خضم هذا الحديث من ذكر أهم وأشهر انواع الدروع التي صنعت واستعملت بكثرة ونالت سمعة واسعة الواحدة تلو الاخرى، فأول هذه الدروع كان:

● درع الجلود والخشب: وهو أقدم انواع الدروع حيث لم يكن الانسان عندها قد توصل إلى تطوير استعمال المعادن بين يديه فكان يلجأ لحماية نفسه إلى استعمال الخشب والجلود، وقد كان هذا الاسلوب منتشراً بين المجتمعات البدائية، وكانت الجلود تركب خلف الخشب لرد الضربات عن الجسم عند اصطدامها بالدرع الخشبي، وقد استمر استعمال الجلود على هذا النحو حتى بالدروع المعدنية لانها تشكل حاجزاً بين الجسم والدرع يمنع اصطدام الدرع المعدني بالجسم مباشرة.



□ خوذة الكالسيديان وهي تختلف بتصميمها عن الكورنثية.

●درع الصفائح المعدنية: (سكايل ارمور): أكثر انواع هذه الدروع استعمالاً، هي تلك المصنوعة من صفائح مستطيلة الشكل منحنية بشكل نصف دائري من اسفلها، وتثقب من اعلاها لتربط مع الاخريات على قطعة من الجلد أو القماش ثم تثقب من الاطراف لتثبت مع الصفائح الاخرى بشكل عامودي ثابت، تشبه في تركيبها شرائح جلد السمك، أو القرميد على السطوح، وكان هذا النوع من الدروع يصنع من الخشب، الجلد، الذهب، الفضة، النحاس، البرونز أو الحديد، لكن الاغلب كان للحديد والبرونز المطلي بالذهب والفضة. لكن ضعف القدرة على الحركة في هكذا نوع من الدروع سبب هبوطاً سريعاً لشهرته وخصوصاً بعد ظهور انواع اخرى من الدروع أكثر مرونة وليونة خلال الاستعمال. وسبب ضعف امكانية الحركة المرنة في السكايل ارمور أو دروع الصفائح المعدنية يعود إلى خطأ في تركيب الصفائح التي رصفت على بعضها بشدة مما جعلها تتغضن على بعضها وتمنع المرونة والسهولة في التحرك الجسماني لصعوبة تحرك المفاصل بين الصفائح ذاتها.

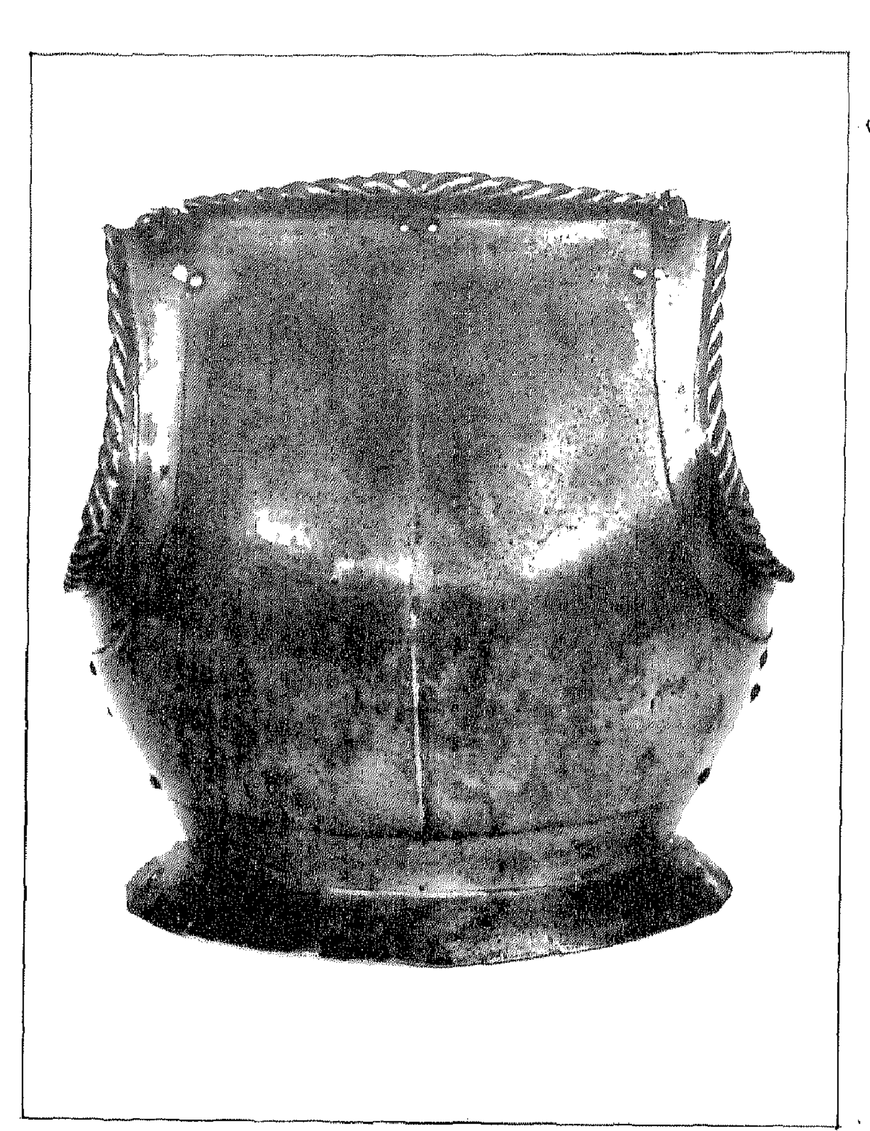


□ نموذج من درع إيطالي، الشرائح المعدنية الكبيرة مع خوذة مذنبة من الخلف والاطراف.

●درع الشرائح المعدنية:(لاميلارارمور): يتألف هذا النوع من الدروع من مئات الشرائح الصغيرة المستطيلة الشكل المصنوعة من الحديد والبرونز وتثقب بما يقارب الثمانية إلى أربعة عشر ثقباً من جميع الجوانب ومن الوسط أيضاً ثم بشكل عامودي على قطعة من الجلد ثم تثبت شرائح اخرى بشكل مسطح حسب اجزاء الجسم وبهذا الاسلوب يتمتع المحارب بسهولة الحركة أكثر. وقد انتشر هذا النوع من الدروع بكثرة وبسرعة في معظم انحاء العالم، فمن وسط آسيا، امتداداً إلى مونغوليا، وشرق روسيا، وإلى التيبت فالصين ثم كوريا واليابان.

● درع الحلقات المعدنية: (ميل ارمور): إن هذا النوع من الدروع قد استعمل أيضاً بشكل واسع وكثيف عند شعوب عديدة، وصناعته كانت تتطلب مهارة في حبك الاسلاك بالحلقات وكان ذلك يتطلب وقتاً وفناً دقيقاً في انجازه، ولذلك كان هذا النوع من الدروع غالي الثمن وخصوصاً عندما كانت الحلقات المعدنية تصنع من الذهب الخالص أو الفضة، وكان يقتصر استعمال هذا النوع على الملوك ورجالهم، أما النوع الذي استعمل بكثرة فهو المصنوع من حلقات نحاسية أو حديدية.

وعلى هذا الشكل استمرت صناعة الدروع حتى القرن التاسع عشر وتوقفت صناعتها لأنه لم يعد تستطيع اللحاق بالتطور الذي احدثته الاسلحة، لظهور البنادق جعل هذه الدروع دون أي فائدة للمحارب، ولهذا السبب لم تعد تصنع ولا تستعمل، إلى أن عادت لتظهر من جديد في العصر الحديث باسلوب جديد ومواد جديدة وفعالية



□ درع الماني من القرن السادس عشر، مصنوع من الحديد والنحاس يغطي الصدر ومزموم عند الخصر

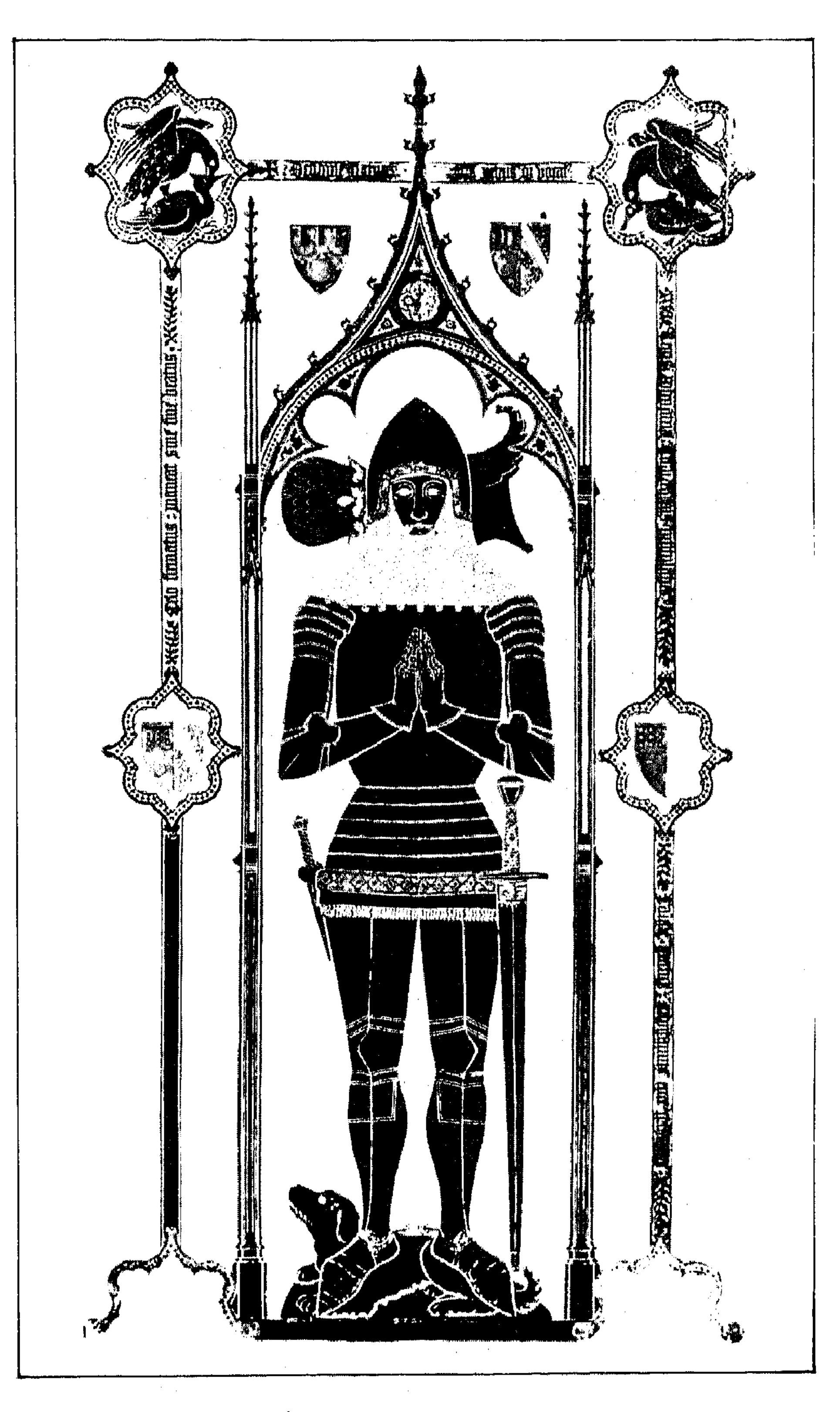
تتناسب مع تطور الاسلحة الحديثة، ونشير هنا إلى أن الكثير من الدروع الحديثة اخذت بمبدأ تصميمها عن القديمة ويبقى الفرق بالتكنولوجيا العصرية، وهذا ما سنوضحه في مرحلة العصر الحديث.

العصر الحديث

لم تكن فكرة الدروع المصفحة قد ظهرت تماماً بسبب تقدم الاسلحة بشكل اسرع من تقدم صناعة الدروع، فالتطور العلمي الذي وصله الانسان مكنه من الابداع من جديد في العديد من المجالات، ولم تكن تكنولوجيا القرن العشرين سوى الباب الواسع لعودة الدروع إلى الاستعمال الفعال والكثيف لدى الكثير من الدول في حقول الامن والدفاع والحماية. وقد اقتبست هذه التكنولوجيا الجديدة، المبدأ القديم وطورته ليتناسب مع اسلحة الحاضر المتطور، لكن الفرق بين الماضي والحاضر، إن دروع الماضي كانت كافية لصد جميع انواع الاسلحة، كالسيوف، والخناجر، والرماح، والسهام، والكرات الحديدية، والحجارة والكرات المسمرة الخ. أما دروع الحاضر فهي على انواع واشكال لانه اصبح من الصعب جعل درع واحد يقوم بكل انواع الحماية نظراً لاختلاف انواع الاسلحة المستخدمة حديثاً ولصعوبة دمج المواد المناسبة لصد هذه الاسلحة كلها في درع واحد، ولهذا السبب تنوعت الدروع حسب المهام والمتطلبات لذلك فللبداية هنالك ثلاث فئات أساسية مختلفة.

أولاً: الدروع العسكرية الحربية (وهي التي تستعملها الجيوش).

□ محارب بدرعه الكامل المصنوع من الصفائح والحلقات المعدنية.



ثـانياً: الدروع العسـكرية الامنـة (وهي التي تستعملها الشرطة والمباحث).

ثالثاً: الدروع المدنية للحماية (وهي التي يستعملها الدبلوماسيون والشخصيات التي تحتاج للحماية).

وكل واحدة من هذه الفئات الثلاث تختلف عن الأخرين بالمـواد المصنوعـة منها، وبـالشكل وبالوزن، وبالقدرة على صد الضربات، وبالقدرة على تأمين أعلى نسبة من الحماية. فمن السترات الواقية من شظايا القذائف والصـواريخ إلى السترات المضادة للرصاص والسترات المضادة

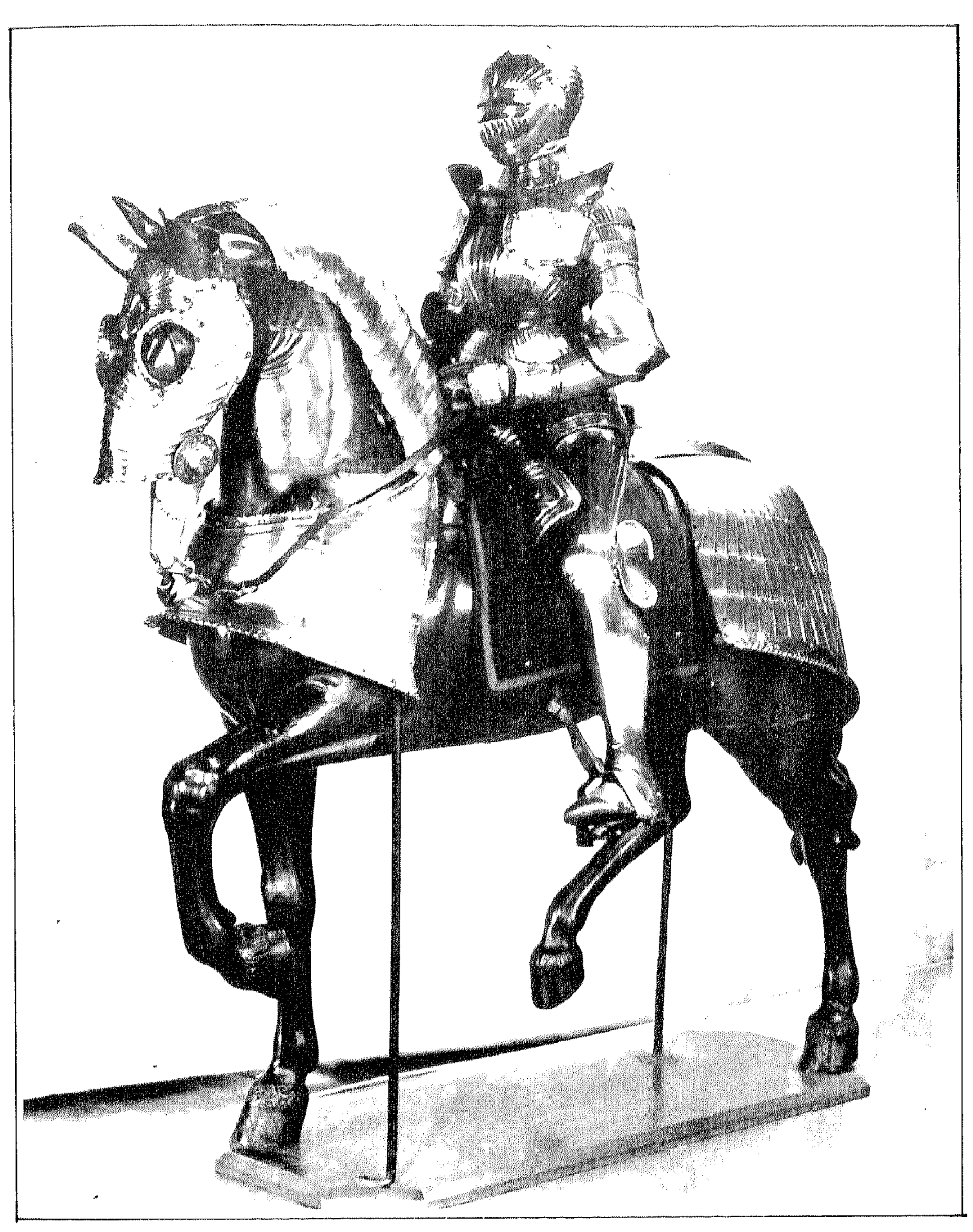


□ نموذج لدرع إيطالي كامل، يكسو الجسم من أعلى الراس حتى اسفل القدمين بعد وضع الخوذة. مصنوع من الصفائح والحلقات المعدنية.

للقنابل والعبوات والمفرقعات على انواعها الخ.

السترات الواقية

لم يعد الحديد أو البرونز أو النحاس المعدن الجبار في صناعة الدروع ومقاومة السلاح، فمن يصدق أن قطعة من القماش المرصوص الخاص تقوم بما هو أقوى من الحديد، ويعرف هذا القماش باسم «الكفلار»، وهو المادة الاساسية في صناعة معظم انواع السترات الواقية ثم تركب عليها مواد اخرى حسب متطلبات الحماية، كشرائح وصفائح



□ نموذج للمكسميليان ستايل الايطالي الذي اشتهر في عصره.

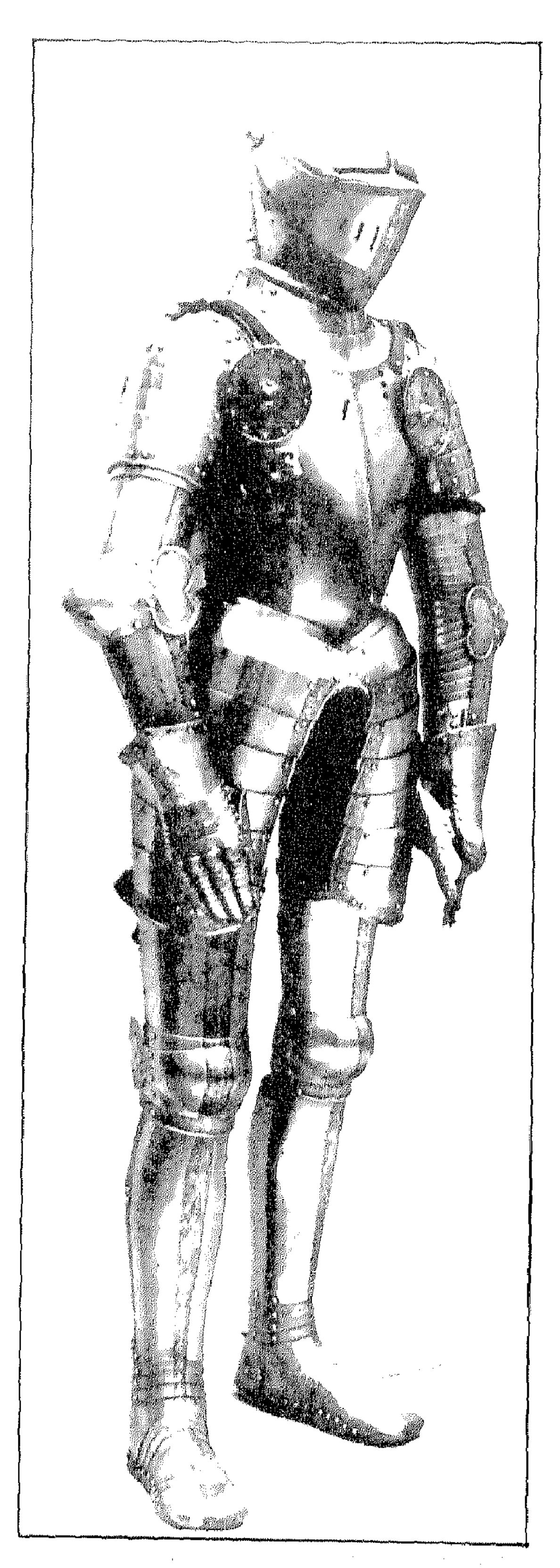
التيتانيم، أو الفايبر غلاس أو السيراميك وغيرها من المواد التي يتم تطويرها لكن ما يزال هناك تساؤل بالنسبة لما تستطيع هذه السترات الحديثة أن توفر من الحماية، فالهدف الاساسي لصناعي

هذه الدروع ليس تحميل الجندي مواد تعوق قدرته على الحركة أو تكون ثقيلة جداً فتمنعه من المناورة المرنة خلال المعارك وهذا ما يحتاجه الجندي في الحروب ولهذا جاء مبدأ الحماية في التصميم لهذه

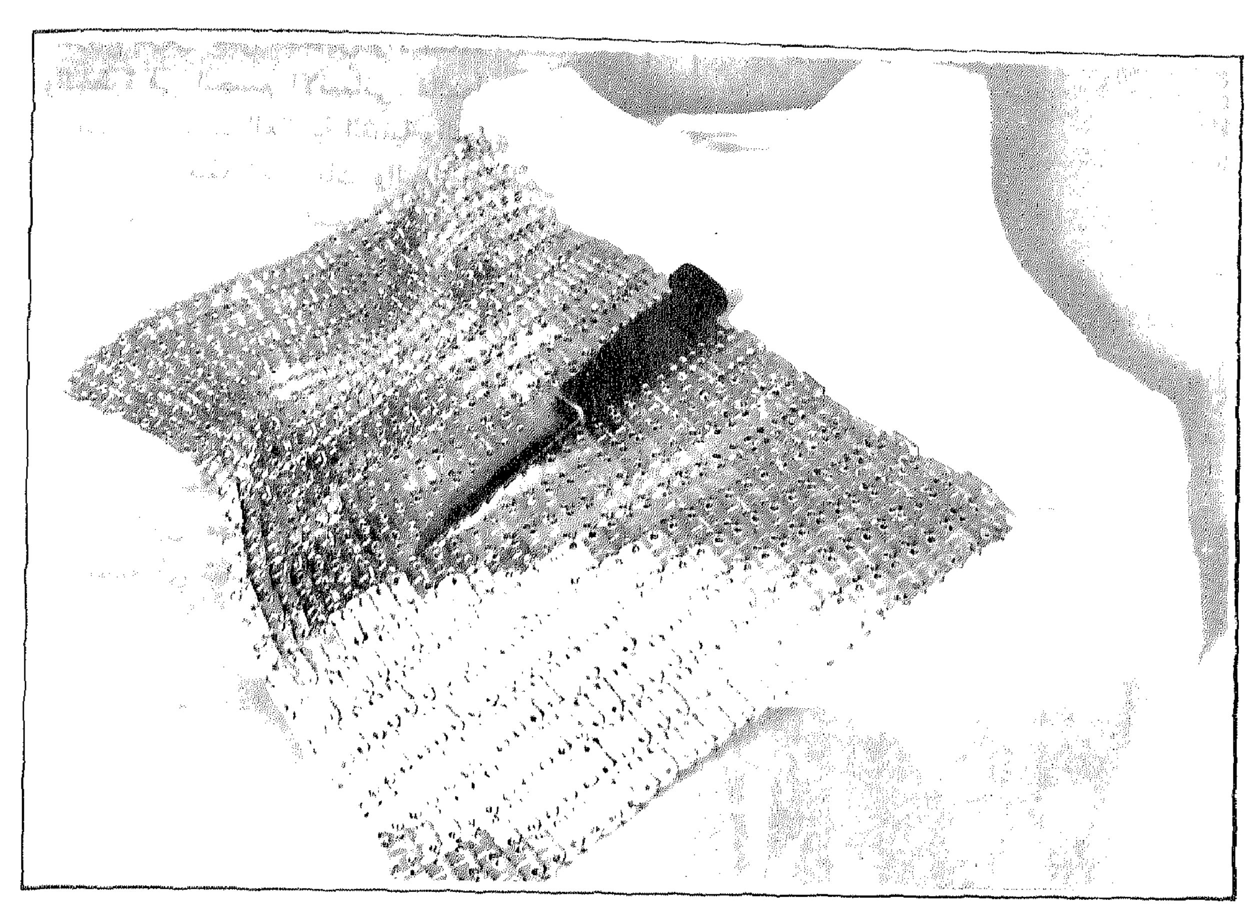
الدروع مركزاً على الاماكن والاعضاء الحساسة والخطرة في الجسم الانساني. فالمعلومات التي جمعت من الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية أظهرت أن معظم الاصابات والجروح جاءت في منطقة الصدر والبطن والحوض حيث القلب والرئة، والكبد والشرايين الاساسية، ولهذا فإن درعاً بحجم قدم مربع واحد على الاقل من الامام والخلف يؤمن حماية بنسبة ٧٥٪ من الاصابات الخطرة، شرط أن تكون المواد المستعملة قادرة على وقف معظم انواع الطلقات المستعملة. ونشير هنا إلى أن السترات المضادة للرصاص هي على نوعين: الأول مضاد للرصاص ذات السرعة المنخفضة أي تحت ١١٠٠ قدم بالثانية.

وعادة تتألف هذه السترات من مادة الكفلار المرصوص وتختلف في قدرتها على رد الطلقات حسب عدد الطبقات المستعملة من الكفلار. أما النوع الاخر فهو الذي يقاوم الطلقات ذات السرعة العالية وتتألف هذه السترات من الكفلار المرصوص وتركب عليه الواح السيراميك، أو الفيبرغلاس، أو الهكسهارد وغيرها من المواد.

إن التجارب الاولية التي وضعت السترات الواقية مجدداً في الخدمة بعد انقطاع لفترة من الزمن، كانت في الحرب العالمية الثانية وبشكل ضئيل جداً ولم تكن المحاولات ناجحة واستمرت الابحاث إلى أن تمت تجربة أول نوع من هذه السترات في الحرب الكورية قرب نهايتها، ثم وضعت هذه السترات في الخدمة الفعلية في الحرب الفيتنامية وكانت كافة السترات من النوع المقاوم لشظايا القنابل أو الصواريخ ولم تكن مصممة لصد الطلقات النارية. وتعرف هذه السترات بسترات الـ «Flak Jacket» ومنذ ذلك الحين بدأ التطوير الفعلي والجدي لجميع انواع السترات الواقية، فالحرب الفيتنامية علمت صانعي هذه السترات دروساً جديدة واعطتهم رؤية واضحة لكيفية صناعة هذه الدروع بشكل فعال أكثر، فتلك الحرب أظهرت ضرورة وجود سترات قادرة على مقاومة طلقات البنادق السريعة من ١٨٠٠ إلى ٣٦٠٠ قدم/ ثانية وحتى الان أفضل ما توصل إليه الخبراء في هذا المجال هو درع السيراميك المدعم



□ نموذج لدرع الصفائح المعدنية الذي يكسو الجسم بالكامل، وهذا يعطي حماية كافية من جميع الأخطار ومصمم بطريقة لا تعيق حركة المحارب. صنع في مدينة أوغسبرغ في المانيا الغربية.



□ سترة من الكفلار والتيتانيم تمنع اختراق الشظايا والسكاكين.

بالفيبر غلاس وهـذا الدرع يشكل مانعاً ثابتاً لكافة انواع الطلقات فعند اصطدام الطلقات النارية بالدروع السيراميك فإنها تنهار فوراً وتتناثـر ويمتص الدرع الامامي معظم طاقتها الاندفاعية بينما يمتص الـفيبر غلاس المدعم من السيراميك القوة الباقية من طاقتها الاندفاعية، مسبباً لها انهياراً تامـاً. وهكذا استـطاعت هذه الدروع الجديدة أن تتقدم على الدروع التي استعملت في فيتنام

ويبقى ان نشير هنا إلى آخر نوع من السترات والدروع وهـو الصنف الخاص بـالمفـرقعـات والعبوات وهذا النوع من الدروع اقتبس تصميمه عن دروع العصور الوسطى حيث كان الفارس يكسو جسمه من اعلى الرأس حتى قدميه بالحديد مـروراً بسواعـده، وهذا هـو الحال في درع المفرقعات لكن بـدل الحديد فإن خبير المفرقعات يكسو جسمه ببذلة كاملة من الكفلار مع لوح من السيراميك على صدره وخوذة ذات زجاج مصفح ونظام تنفس بالاوكسجين ويضاف إلى هذه البزلة من الكفلار مواد مانعة للاحتراق ويمكن لهذه السـترات أو البذلة الكـاملة ان تحمي خبيـر المفرقعات من اخطار انفجار الشحنات الناسفة بين يديه، وذلك بالطبع حسب قوة هذه الشحنات، إذ ان هذه البذلة مصممة لتفادي اخطار الشحنات الخفيفة.

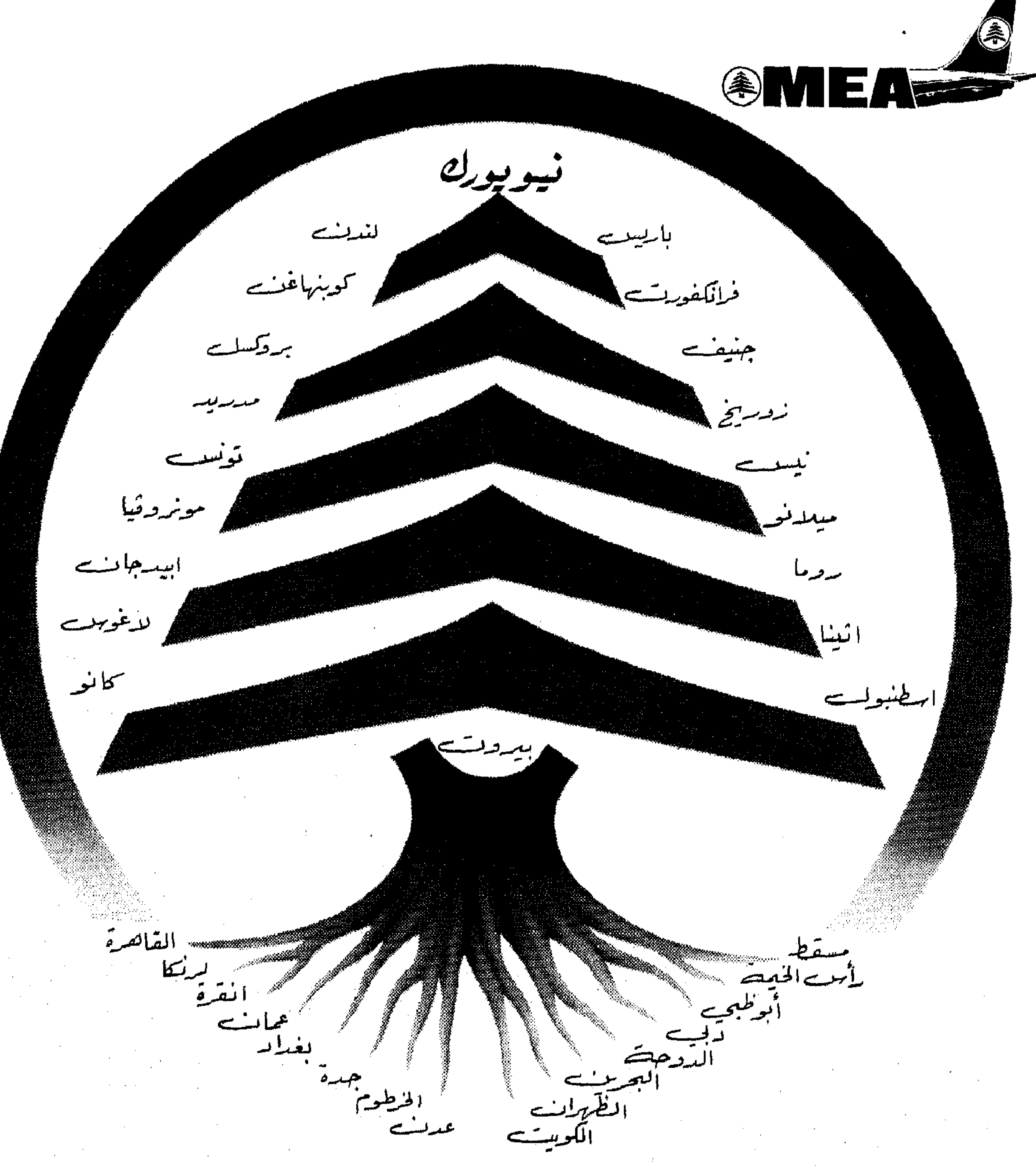
وهكذا يبقى السباق جارياً بين الدروع والسلاح وصانعيها فكل واحد يحاول استباق الاخر وكلما تطورت الاسلحة من السهام والرماح إلى الرصاص والقنابل، وتطورت معها الدروع، وغداً يصبح الرصاص من مخلفات الماضي وتحل محله اسلحة الليزر وبذلك يتوجب على صانعي السترات اختراع ما هو مناسب لمقاومة السلاح الجديد سلاح المستقبل ومواجهته بدرع المستقبل، وحتى ذلك الحين تبقى دروع اليوم الوسيلة الوحيدة لمواجهة اسلحة اليوم ورد خطرها عن اجسامنا إلى اقصى درجة ممكنة ويبقى الدرع فاصلاً بين الموت والحياة. ●

موطنها لبنان

أرزة طيران الشرق الأوسط الخطوط الجويّة اللبنانيّة

جُذورها راسخة في الشرق الأوسط

وأغصانها ممتدّة في أرجاء الدّنيا




من أعلام الخليج العربي
أحمد بن ماجد
خالد بن محمد القاسمي

لقد بزغ فجر عصر جديد مجيد في تاريخ العرب في منتصف القرن السابع الميلادي بعد أن أصبح للعرب المسلمين خلال مائة عام من وفاة الرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم دولة مترامية الأطراف، وأصبحت لهم السيطرة البحرية على البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي.

واسس العرب المسلمون أيضاً مراكز عربية في أنحاء شتى من قارة آسيا مثل (كنكان) وساحل «المليبار» و «كرومندل» وجزائر «ملديف» و «سيلان» وامتد نشاطهم التجاري حتى شمل جزر «اندمان» وجزر «نيكوبار» وساحل «أركان» والملايو وسومطرة وجاوة ومع هذا النشاط التجاري انتشر الإسلام هناك.

وكانت الملاحة العربية صوب الشمال أو الجنوب تعتمد على اتجاه الرياح الموسمية وكانت عسيرة على وجه خاص حول جزيرة سيلان فالطقس هناك متقلب، والأعاصير هوج ولكن الملاحين العرب تخطوا تلك الصعاب الطبيعية فاخترعوا البوصلة والاصطرلاب فيما اخترعوا وألف الكتاب المسلمون كتباً في وصف الأرض والبحار والأنهار والبحيرات والأفلاك والنجوم، ونظموا في كل هذا الشعر أحياناً، ومن هؤلاء الكتاب السرخسي وابن خرداذبه وسليمان السيرافي وابن رستة وأبو دلب مسعر بن المهلهل الخزرجي والمسعودي والمقدسي وأبو حامد الغرناطي وابن جبير والقزويني وابن بطوطة والدمشقي والنويري والعمري وسليمان بن أحمد بن سليمان المهري، وأخيراً وليس بآخر ابن ماجد.



عاش شهاب الدين أحمد بن ماجد السعدي ــ أو النجدي ــ في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي) ولقد ترك لنا مؤلفاته العلمية عن البحر وفن الملاحة في شكل مخطوطات هى الان في باريس وفينا ولننجراد ودمشق وجدة والموصل ويبرز من هذه المؤلفات كتابه (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد)..

كان الشيخ شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبي معلق السعدى بن أبى الركائب النجدي يكنى بحاج الحرمين الشريفين والمعلم العربي وناظم القبلتين (مكة وبيت المقدس) شهاب الدنيا والدين أسد البحر ليث الليوث. وكان قد أطلع على مؤلفات الملاحين العرب الذين عاشوا منذ ظهور الإسلام حتى عصره والذين كانوا في اسفارهم يساحلون البر فحسب وكان أبوه «ربان البرين» أي بر العرب وبر العجم ــ كما كان جده من معالمة البحر المشهورين وقد حفز ابن ماجد إلى تأليف كتابه «الفوائد» خوفه من (أن يدركه الموت ونوادر الحكم في القلوب) كما يقول.

لم يرد تاريخ ميلاد ابن ماجد في مؤلفاته وأراجيزه ولم يذكر الملاحون العرب تاريخ وفاته ولكن العالم المصري الدكتور أنور عبد العليم استطاع تحديده على وجه التقريب فيما بين عامي ٨٣٥ و٨٤٠هـ وذلك من احدى قصائده المسماة «ضريبة الضرائب» التي نظمها وعمره يربو على الستين قليلاً وكان ذلك في عام ٩٠٠هـ (١٤٩٤ ــ ١٤٩٥م) ومعنى ذلك أن ابن ماجد ولد حوالي عام ٨٣٨ هـ في جلفار في عمان ــ ويرجح انه عاش حتى سن السبعين وقد فرغ من تأليف كتابه «الفوائد» في حوالي عام ٨٩٥ هـ عندما كان عمره سبعاً وخمسين سنة. ونعلم منه أنه يقود السفن وهو في السابعة عشرة من عمره وقبل ذلك كان أبوه يصطحبه عند قيادته السفن وهو في سن العاشرة. وعلى الرغم من بلوغه سن الستين كان نشيطاً كما كان مولعاً بحرفته وكان ورعاً تقياً يبدأ سفره دائماً بالصلاة، وكان دوماً يحث الملاحين على الطهارة والعفة والامانة.

وكان ابن ماجد ـــ فوق خبرته العظيمة بأعالي البحار ـــ واسع الثقافة فقد قرأ أشعار الشعراء الجاهليين وغيرهم وكتب الشعر أيضاً، واطلع على ما كتبه (معالمة البحر) وكان يعرف اللغات الاجنبية مثل السنسكريتية والسواحلية والفارسية وكان يتقن اللغة الفارسية على وجه خاص محادثة وكتابة بفضل صلاته بمعالمة الخليج (الفارسي) في أثناء اقامته في جلفار. وكانت ثقته بنفسه عظيمة إذ كان يلقب نفسه برابع الليوث أو رابع الثلاثة.

قال في احدى أراجيزه:

والقوا سلاح الجهل لما تحققوا
مقالي في عرب وعجم وديلم
بقولي رابع لثلاثة
فحق لحسادي تموت وتغتم
بوادر علم البحر عني تفرعت
وخير صفات البحر تصدر من فمي

قام فاسكودى جاما برحلة للوصول إلى الهند في عهد الملك (مانويل) الثاني (١٤٩٥ ـــ ١٥٢١م) وكانت سفنه أو (أغربته) ثلاثاً أو أربعاً تحمل أسماء قديسين وكان عليها مائة وخمسون بحاراً بدأ رحلته من البرتغال يوم ٢٥ مارس سنة ١٤٩٧م. وأبحر بمحاذاة ساحل أفريقية حتى بلغ رأس الرجاء الصالح يوم ٢٢ نوفمبر من السنة ذاتها. وبعد أن اغرقت العواصف أحدى سفنه في يناير من عام ١٤٩٨م وصل إلى ثغر (ماليندي) في مملكة (كامبيا) «الان كينيا» في شهر مارس من عام ١٤٩٨م وطلب دى جاما من ملك ماليندى أن يدله على دليل يرشده إلى طريق الهند البحري فأرسل إليه (رباناً مسلماً) من «جوزرات» يسمى المعلم كاناكا وقد دهش دى جاما من معلومات هذا الربان العربي المسلم خاصة عندما أطلعه على خرائط وآلات عربية لرصد النجوم، وكان الربان أبن ماجد. وأبحر الاثنان يوم الثلاثاء ٢٤ ابريل سنة ١٤٩٨م متوجهين إلى (قليقوت).

وبعد عام من عودة دى جاما من الهند أرسل البرتغال حملة بقيادة (ديوجوديار) نزلت في جزيرة مدغشقر يوم ١٠ أغسطس سنة ١٥٠٠م ثم توالت حملات البرتغال الاستعمارية على الساحل الافريقي وعمان والخليج العربي والهند وسلبوا ونهبوا سفن المسلمين كما يروي أبن ماجد نفسه في أرجوزته (السفالية).

الف أبن ماجد الكثير من التآليف في فنون الملاحة، وقد بلغت في رأي بعض الباحثين أربعين، وفي رأي البعض الاخر ثلاثين. ولكن بعضها فقد. أما مؤلفاته المعروفة الان فهي:

١ ـــ كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد: مقدمة وأثنى عشر فصلاً أو (فائدة) ألفه وصنفه لركاب البحر ورؤسائه وانتهى من تأليفه في عام ٨٩٥هـ ويشدد في «المقدمه» على اهمية هذا العلم الذي به يمكن للانسان تحديد القبلة أو مواقع البلدان بالضبط كما يمكنه أن يكسب عيشه من البحر وأن يركبه مطمئناً.

وفي «الفائدة الاولى» يذكر تاريخ تطوير علوم البحر على أيدي الربابنة ويقول متواضعا أنه رابع الثلاثة ولكنه يبزهم... ويقول: «وقد وقرتهم بقولي اني رابعهم لتقدمهم في الهجرة فقط وسيأتي بعد موتي زمان ورجال يعرفون لكل واحد منا منزلته...».

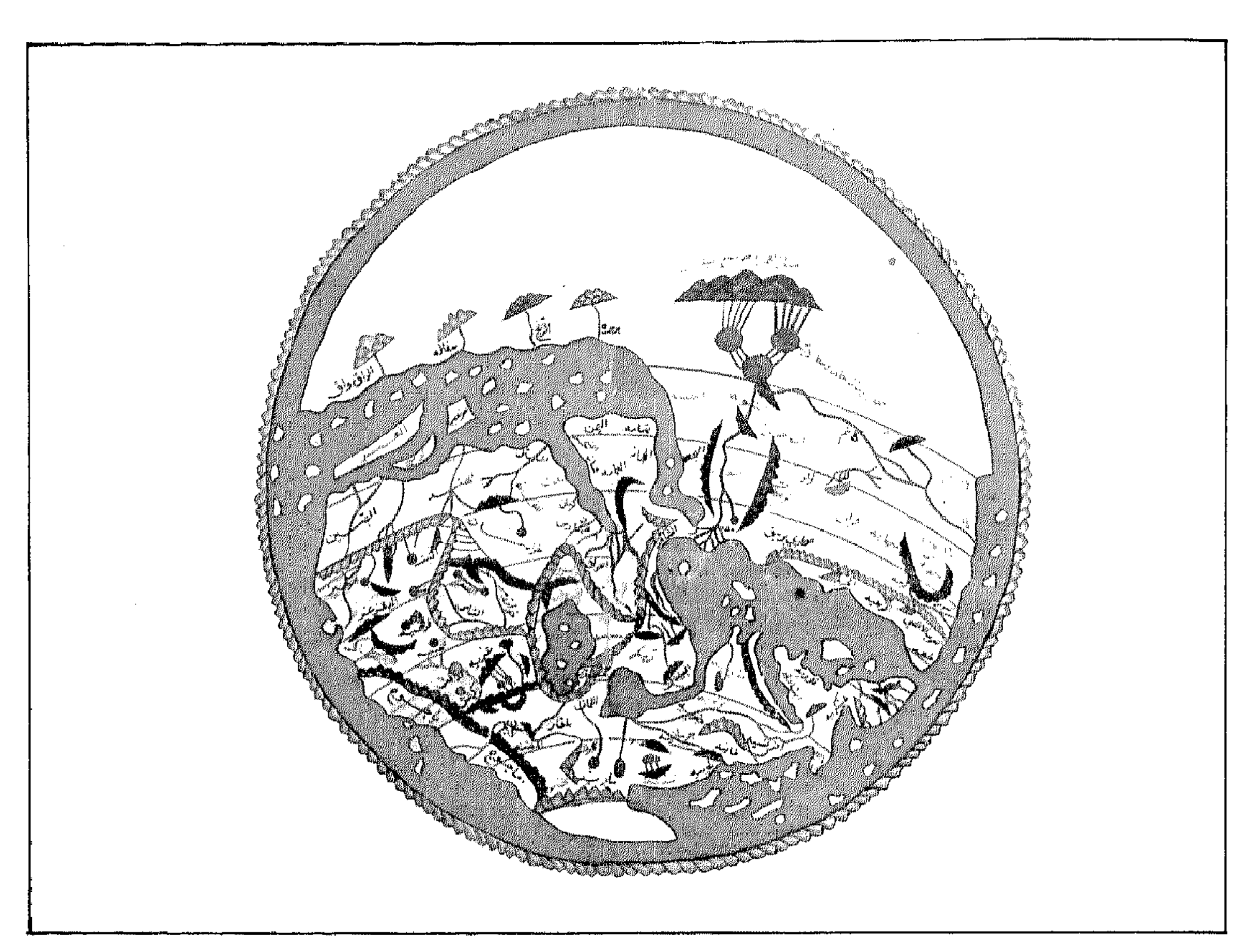
وفي الفائدة الثانية» يلخص المعلومات والارشادات الضرورية للربان.

وفي «الفائدة الثالثة» يذكر للمنازل الفلكية والنجوم الملاحية.

وفي «الفائدة الرابعة» يذكر نجوماً وصوراً معينة ذات بروج ودرجات ودقائق ومجال طول وعرض وجهة وبعد..

وفي «الفائدة الخامسة» يعدد المراجع الفنية التي ينبغي لمعالمة البحر قراءتها جيداً وهى في الجغرافية الوصفية والفلكية والرياضية.

ويتناول في «الفائدة السادسة» بيت الابرة التي تسمى السمكة وسمكة الحقة ويقول فيها: «واعلم أن للبحر عللاً فأحذر منها أولها نوم المعلم.. والحذر كل الحذر من صاحب السكان (أي دفة السفينة) لا يغفل عنه فأنه أكبر أعدائك.. وما صنفت هذا الكتاب الا بعد أن مضت لي خمسون سنة وما تركت صاحب السكان وحده الا أن أكون على رأسه أو من



□ خريطة العالم للإدريسي

يقوم مقامي».

ويتكلم في «الفائدة السابعة» عن (الباشيات) أي ارتفاع نجم بالنسبة إلى النجم القطبي ــ الجاه ــ وهو على أقل ارتفاع فوق الأفق والقياسات: ويوصي بالتدقيق في قياس ارتفاع النجم قائلاً: «فإني لم أترك في السماء نجماً إلا وقد درجته وعرفت نقصانه وزيادته». ويقول: «فقياسات بحر قلزم العرب وبر الملل (أي الساحل) فيما يلي العجم وبر العرب لم يحوزها في زماني غيري».

وفي «الفائدة الثامنة» ينصح الربان الماهر بأن يتفقد خلل السفينة وهي على البر لم تنزل إلى البحر وخاصة مكان وضع البوصلة وبأن يستخدم البوصلة.

وفي «الفائدة التاسعة» وصف للسواحل: الساحل العربي والافريقي والبحر الأحمر من باب المندب إلى القصير والسويس، والبحر الرومي أي البحر الابيض المتوسط

وفي «الفائدة العاشرة» وصف للجزر الكبار المشهودات المعمورات ولا سيما جزيرة العرب وجزيرة القمر أي جزيرة مدغشقر وجزيرة شمطرة (سومطرة) وجزيرة الغور وجزيرة سيلان وجزيرة زنجبار وجزيرة البحرين وجزيرة أبن جاوان أو برخت وجزيرة سقطرة.

وفي «الفائدة الحادية عشر» ذكر لمواسم السفر من مختلف السواحل حسب مواسم الرياح وملاءمتها للسفر في البحر وعن البحر الاحمر يقول: «وخير السفر في البحر الذي في الاقاليم الشمالية في المابة ومن مسك اليمن مسك الحجاز لان بحر القلزم العربي لم ينغلق (يقفل) خصوصاً على المراكب المعتدة (القوية) ».

وفي «الفائدة الثانية عشر» يصف البحر الاحمر وجزره وشعابه المرجانية في عشرين صفحة، ويذكر المسافات بين المراسي المختلفة.. ويتكلم عن طبيعة قاع بعض الاماكن ويحذر من خطر الشعاب.

٢ ــ حاوية الاختصار في أصول علم البحار: وهي مؤلفة بالشعر من بحر الرجز في ستين صفحة وتقع في أحد عشر فصلاً ألفها أبن ماجد في عام ٨٦٦هـ (١٤٩٢م). ويذكر مثلاً في الفصل الاول اشارات تعين الربابنة على ادراك اقترابهم من البر كالطين والحشيش والبلد وحيوان الماء ولا سيما الحيات السامة المشهورة على ساحل الهند.

وبالاضافة إلى هذين الكتابين ألف أبن ماجد أراجيز منها الطويل ومنها القصير لتكون أيضاً مرشداً ملاحياً إلى طرق الملاحة ومنها «أرجوزة قبلة الإسلام في جميع الدنيا» التي ألفها في عام ٨٩٣هـ (١٤٨٨م) و «أرجوزة كنز المعالمة وذخيرتهم» في علم المجهولات في البحر والنجوم والبروج وأسمائها وأقطابها ألفها قبل عام ٩٠٠هـ و «الأرجوزة المنسوبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه» في معرفة المنازل وحقيقتها في السماء وأشكالها وعددها على التمام والكمال، القصيدة المكية وهي من مكة لجده إلى فرتك لكالكوت ودابول كنكن وجوزرات والاطواح وهرامين، و «الارجوزة السفالية» (نسبة إلى سفالة على الساحل الافريقي) في معرفة المجاري والقياسات من مليبار وكنكن وجوزرات والسند والاطواح إلى السيف الطويل

العلوم البحرية يقول أبن ماجد، إن الناس تعلموا صناعة السفن على سواحل البحر وإن، اول ما سير المرء السفينة كان في الخلجان والاماكن المحمية وذلك قبل أن يخرج إلى عرض البحر ويؤكد ضرورة معاينة مكان البوصلة وادوات الملاحة مثل المرشد الملاحي (أو الراهبانج) والحقة والفانوس وآلة سبر الاعماق وأدوات القياس لرصد ارتفاع النجوم، كما يؤكد وجوب ملاحظة صاحب السكان وصون السفينة من كل خلل.

ولا ينسى أبن ماجد الصفات الانسانية في الربان والخلق المتين والعلم بالفنون الملاحية ومداومة التحصيل منها. فيقول عن علم البحر: «فأنه علم نفيس ولا يتم إلا بتمام العمر وما لا يدرك كله لا يترك كله وينبغي أن لا يتكبر فيه الإنسان».

لم يقتصر الاهتمام بحياة ابن ماجد وأمجاده البحرية على العلماء العلميين المحدثين فحسب بل كان للكتاب والادباء نصيب في اجلاء فضائله ومنهم الأديب رشدي صالح. فقد استحوذت عليه حياة ابن ماجد وأعماله وعصره، فكتب قصة طويلة عن حياته. يقول في خاتمتها: «وهل يحسن بنا أن نقول شيئاً ونحن نقرأ ما حدث لشهاب الدين..؟ أن نقرأ الفاتحة كلما اقتربنا من البحر.. أو سافرنا على سطحه وأن نقول لشهاب الدين: وداعاً أو نقول له إلى اللقاء».

كان الملاحون من أهل عدن يقرأون له الفاتحة كما طلب في أراجيزه كلما خرجوا إلى عرض البحر وفي الحاوية يطلب ابن ماجد ممن يقرأ كتبه أن يتلو له الفاتحة وسورة الاخلاص:

«اسأل الرحمن يا معواني
إذا تلوت النظم والمعاني
اقرا لي الحمد مع الاخلاص
تنفعني في العرض والإخلاص».

المراجع:

(١) حسن صالح شهاب: طرق الملاحة التقليدية في الخليج العربي ــ قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، ١٩٨٣.

(٢) خالد سالم محمد: ربابنة الخليج العربي ومصنفاتهم الملاحية، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٨٢.

(٣) حسن صالح شهاب: علوم العرب البحرية من ابن ماجد إلى القطامي، منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الكويت، ١٩٨٤.

(٤) د. عبدالأمير محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٦٦.

(٥) حسين ندا حسين: الاهمية الاستراتيجية والنظام القانوني للطريق الملاحي البحري في الخليج العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد: ١٩٨٠.

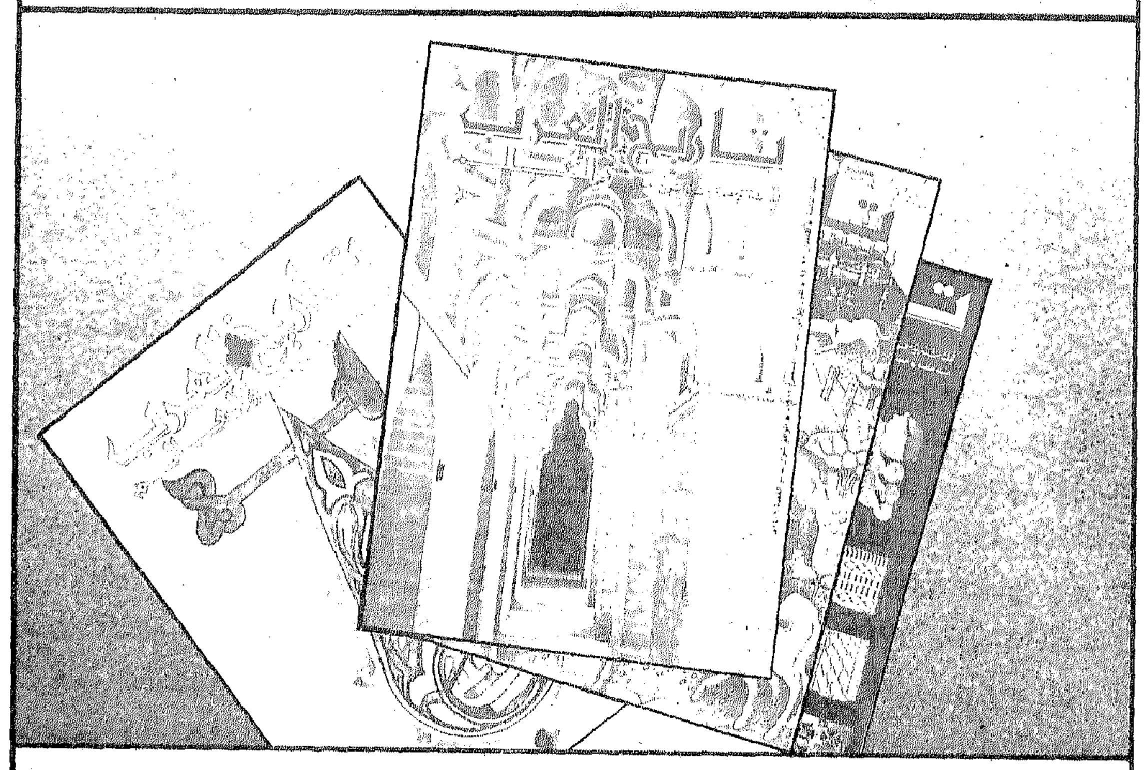
(٦) د. عبدالعزيز صالح: الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية، الاصدار الخاصة لمجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية الكويت: ١٩٨١.

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي



صدر العدد الأول في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨
تصدر في منتصف كل شهر عن « دار النشر العربية »
صاحبها ورئيس تحريرها : فاروق البربير

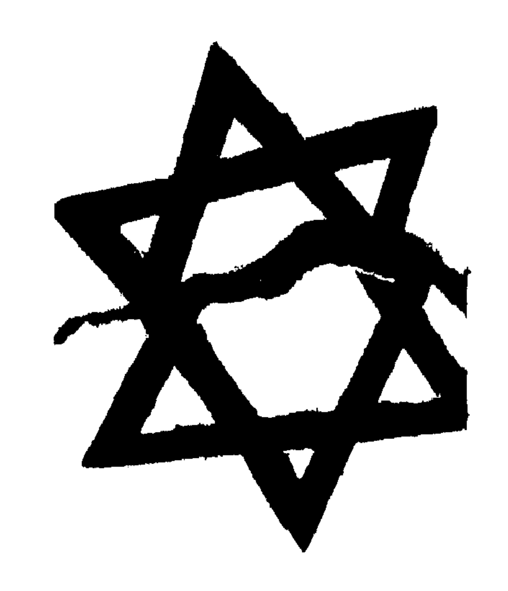


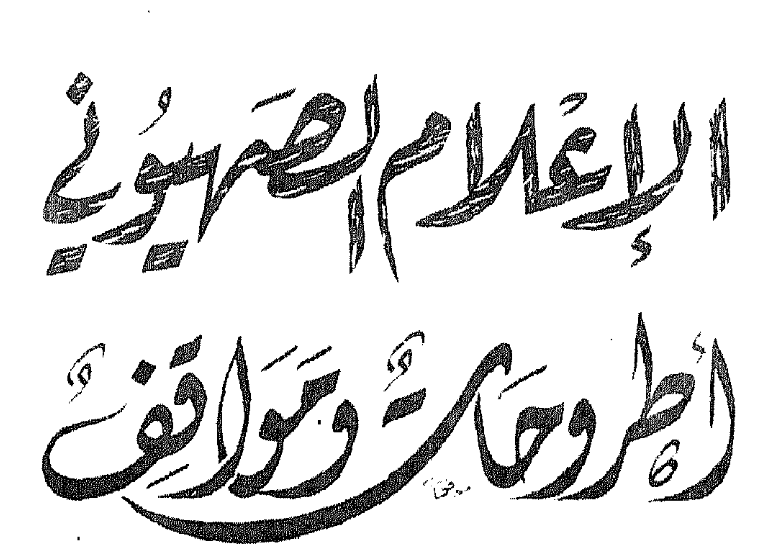
الاشتراكات

- في لبنان .... ١٠ دولار
- للأفراد في الوطن العربي .... ٣٥ دولاراً
- للأفراد في دول العالم الاخرى ...... ٥٠ دولاراً
- للمؤسسات والدوائر الحكومية في الوطن العربي .... ٧٥ دولاراً
- للمؤسسات والدوائر الحكومية خارج الوطن العربي.......... ١٠٠ دولار

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

بناية ابو هليل - شارع السادات - بيروت - لبنان - ص . ب . / ٥٩٠٥ / هاتف : ٨٠٠٧٨٣



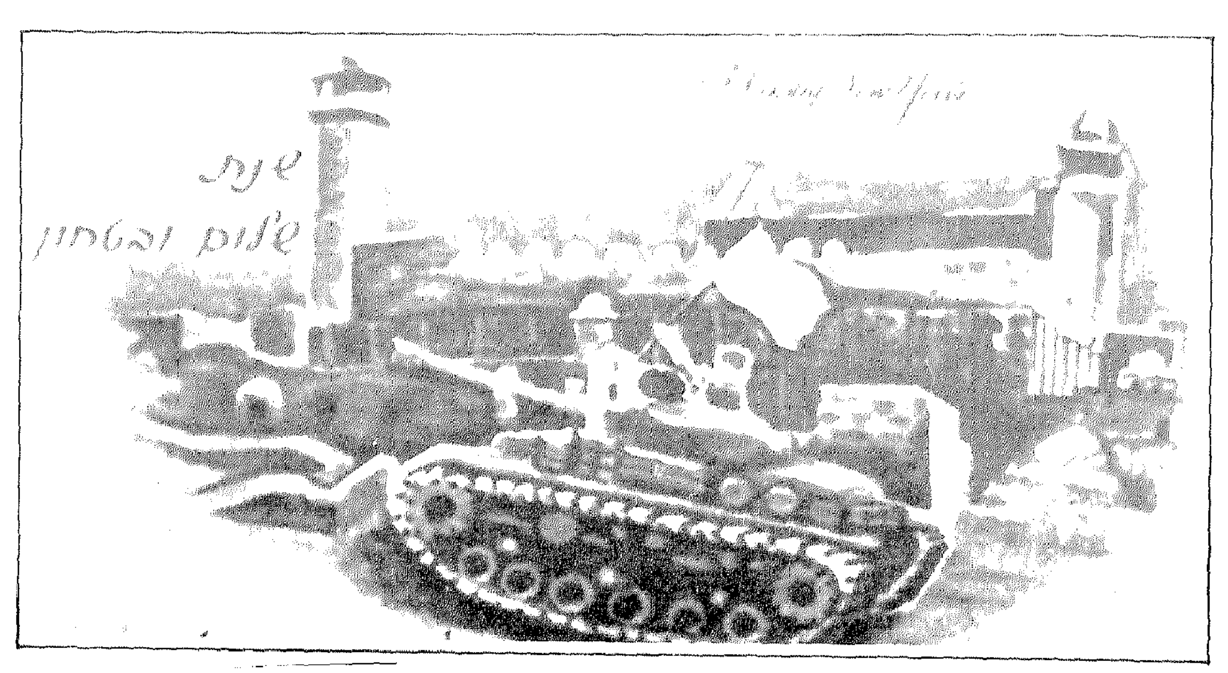


إصــــدار
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

إن الصهيونية أكثر من أي ظاهرة سياسية أو فكرية أخـرى، هي سلعة إعلامية صنعها الإعلام، ابتداء من أسطورة، استغلها بدهاء ومعرفة ومثابرة، وطوع لها كل الظروف الفكرية والاجتماعية، واستطاع أن يؤولها ويقدمها على كل مستوى، في كل وقت، بالصورة المناسبة له، وأن يسخر مواقع إنتاج الأفكار وصناعة الراي العام، واتخاذ القرارات لخدمة مصالحه، وهكذا تغلغل في الجامعات ومراكز البحوث العلمية ودور النشر، وصناعة السينمـا، ووكالات الأنبـاء، والمصارف والشركات متعددة الجنسية، جنباً إلى جنب مع التغلغل في الأحزاب، والهيئات التشريعية والجمعيات الخيرية المحلية والعالمية، والمنظمات الرياضية، والاتحادات الفنية... وكل ذلك في تنسيق وثيق بين التنظيمات الصهيونية المحلية والإقليمية والعالمية، مما أدى إلى أن يكون كل فرد منها، في أي مكان وفي أي موقع، وفي كل وقت مسيساً مسؤولاً، يدعو ويعمل ويقاوم ويصمد.

إن هذه حقيقة، وإن استيعابها وتحليلها، والتصدي لها، إنما هو بداية الطريق إلى تركيز سياسة إعلامية عربية فعالة. وإن العرب لعلى ذلك قادرون، على الرغم من ضخامة المسؤولية، وما تتطلبه من إعداد وتنسيق، وعطاء ومثابرة.

هكذا صدر الدكتور محيـي الدين صابر المدير العام، الكتاب المرجعي الهام الصادر مؤخراً بعنوان: «الإعلام الصهيوني، أطروحات ومواقف» وهو نتاج جهد دؤوب بين المنظمة العربية والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.



□ بطاقة معايدة اسرائيلية بمناسبة راس السنة، وهي وسيلة من وسائل الاعلام الصهيوني.



هذا الكتاب هو حصيلة ثرية لندوة الاعلام الصهيوني ومتطلبات المواجهة العربية التي عقدت في شهر مايو من السنة الماضية، وكانت تلك الندوة الخطوة الاولى على الطريق الطويل متمثلة في مهمة مزدوجة: تحليل منطلقات ومضامين واساليب ووسائل الاعلام الصهيوني وتحديد أشكال مجابهته فلسفة واتجاهاً ووسائل وأدوات وتنظيماً، فضلاً عن التنسيق في هذا المجال بين المؤسسات القطرية والقومية والعالمية.

لقد شارك في وضع هذا الكتاب الضخم عدد بارز من الخبراء والمختصين من العرب وغيرهم، وقد توزعت هذه المشاركات على أربعة ابواب عالجت الايديولوجية الصهيونية والاعلام من زاوية نقدية والتوجهات الجديدة للاعلام الصهيوني، وهذا الاخير والقضية الفلسطينية ثم موقف الاعلام الصهيوني من القضايا السياسية الراهنة.

وقد أسهم في هذا الكتاب الدكتور مجدي حماد الذي قدم لهذه البحوث باطار عام للاعلام الصهيوني والدكاترة ڤولتر هولشتابي، وفلاديمير جرانوف، ونافع الحسن ومحمد ربيع وجانس تيري وبشير نجم وبديعة امين وسلامة حجازي وحسين العودات وعبد الملك عودة.

وقد أعد مادة الكتاب للنشر الدكتور مجدي حماد وراجعها وأشرف عليها زكي الجابر وتوفيق فياض.

الاطار العام للاعلام الصهيوني

حدد الدكتور مجدي حماد الاطار العام الصهيوني، فبين ان هذا الاخير من رحم «الايديولوجية الصهيونية» واستمد منها كل محتويات خطابه السياسي وهذه هي اولى الحقائق في دراسة الاعلام الصهيوني، وتحديد «متطلبات المواجهة العربية» فالاعلام الصهيوني هو اولاً واخيراً اعلام ايديولوجي موجه ومن نوع خاص فإلى جانب امتلاكه بياناً واضحاً بالاهداف، فهو مفعم بالاساطير الغربية، وينهل من التوراة كيفما شاء كل ما يحتاجه من اسلحة وتبريرات وصور ورموز لتحقيق اهدافه وتبرز الدولة الصهيونية كنموذج صارخ لتوظيف الايديولوجية في خدمة السياسة العنصرية والعدوانية وتبريرها، وتحوير الاهداف والمصالح الحقيقية، حيث جرى احلال الخرافات والاساطير والاختلافات محل حقائق التاريخ وقوانين التطور التاريخي والموضوعي.

ولقد شكل قيام الدولة الصهيونية، نقطة تحول في مسيرة الاعلام الصهيوني، فإذا كانت الايديولوجية الصهيونية، «بلا وطن» في الماضي،

فقد اصبحت لها الان دولة تلاحقها منذ البداية «أزمة شرعية» بالغة الحدة على كافة المستويات ومن ثم قام أرباب صناعة الاعلام الصهيوني باعادة انتاجه وتطويره ليتلاءم مع الظروف والمتطلبات الجديدة. ورغم وجود الدولة، باعتبارها المركز الموجه للاعلام الصهيوني، إلا ان ذلك الاعلام يتميز بكونه اعلاماً متحرراً من القيود البيروقراطية وموجهاً تلقائياً من الايديولوجية الصهيونية العنصرية العدوانية ومشبعاً بها، فالدولة الصهيونية تكاد تكون من الدول النادرة في العالم التي تقوم فيها وزارة للاعلام. ويقوم الاعلام فيها على «قاعدة مثلثة» في كل زاوية منها مؤسسة رسمية يستمد منها التوجهات والمعلومات، وهي مكتب رئيس الوزراء، ووزارة الخارجية، والناطق الرسمي بلسان الجيش، وهذه المؤسسات توجه نوعين من الاعلام ، اعلام للداخل واعلام للخارج، وفي اطارهما هناك اعلام موجه للجمهور العبري والجاليات اليهودية واعلام موجه للشعوب العربية ومن ضمنها الشعب الفلسطيني، على شكل دعاية ودعاية مضادة وحرب نفسية وإعلام موجه للراي العام العالمي.

إن هذه «الخصوصية» التي يتسم بها الاعلام الصهيوني باعتباره وليد الايديولوجية الصهيونية تقودنا إلى حقيقة اخرى ربما تعتبر أكثر اهمية في دراسة الاعلام الصهيوني، وتحديد متطلبات المواجهة العربية وتنصرف إلى ان الايديولوجية الصهيونية بدورها تعتبر وليدة أكبر جريمة استعمارية استيطانية في العصر الحديث، تلك الجريمة التي تبلورت خطوطها في المؤتمر الصهيوني الاول الذي انعقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ واكتملت ملامحها بعملية الغزو الاستعماري الاستيطاني لارض فلسطين حتى تم اعلان قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨.

ولذلك فإن الصفة الاساسية للكيان الاجتماعي الصهيوني القائم في دولة اسرائيل، والتي يمكن اعتبارها مفتاحاً لفهم العديد من اوضاعه الاقتصادية الاجتماعية فضلاً عن تفاعلاته السياسية الداخلية والخارجية، تتمثل في انه تكوين استيطاني تبلور في اطار المفاهيم الاستعمارية ذات الطابع العنصري ومعنى ذلك ان الطبيعة الاستعمارية الاستيطانية هي المتغير الاصيل في الكيان الصهيوني، وهي التي تحدد جوهر النظام السياسي السائد فيه وخصائصه وتفاعلاته ويتفرع عن ذلك ثلاث نتائج مترابطة:

أولها: ان التناقض الاساسي في ذلك الكيان يتمثل في التناقض بين القوى الصهيونية والشعب الفلسطيني.

ثانيهما: شيوع نوع من الانفصام والازدواجية على مستوى النظام السياسي والنظام الاقليمي.

وثالثها: ان هناك رابطة عضوية بين اسرائيل والقوى الاستعمارية الكبرى.

وبالتالي يمكن القول ان الكيان الصهيوني في فلسطين هو صنيعة تلك الايديولوجية الصهيونية وان اسرائيل تعتبر بمثابة «كيان مخطط» نشأ وتطور حسب تصورات الفكرة الصهيونية.

ويرى الدكتور مجدي حماد ان أهمية دور الايديولوجية الصهيونية يعود إلى عدة اعتبارات:

أولها: ان اسرائيل لم تعرف منذ قيامها أية ايديولوجية مضادة «للايديولوجية الصهيونية السائدة. فأفكار ما يعرف بقوى الرفض لا تعبر عن الايديولوجية واحدة كما ان نطاق تأثيرها ما زال محدوداً للغاية، ولذلك فإن وجود الايديولوجية السائدة دون تحد ملموس جعلها اداة مؤثرة لتوجيه وضبط السلوك السياسي والاجتماعي.

وثانيهما: ان الصهيونية قد تضمنت مجموعة من المفاهيم «المثيلوجية» وفي مقدمتها أفكار «الشعب المختار» و «أرض الميعاد» و «الخلاص» وهي عادة ما تتسم، شأن المفاهيم المثيلوجية عامة، بقوة التأثير والرسوخ.

وثالثها: استمرارية وجود النخبة السياسية التي ارتبطت بالايديولوجية الصهيونية، خاصة إذا وضع في الاعتبار ان البناء الايديولوجي الثقافي يتيح أمام تلك النخبة قدرتين أساسيتين في التحكم والضبط الاجتماعي: من ناحية أولى — ما يسبغه هذا البناء الايديولوجي الثقافي على النخبة من سمات «الكاريزمية» ويعطيها من اسباب القوة ما يجعل من الصعب على فئات اخرى ان تنشق عليها. من ناحية ثانية، ان هذا البناء هو الذي يهيء توصيل توجيهات ومفاهيم

تلك النخبة من خلال عملية التنشئة على نطاق قومي شامل.

ويلاحظ الباحث انه إذا كانت الايديولوجية الصهيونية هي محصلة للتفاعل بين هذه النظم العقائدية الست، إلا ان هذه النظم ليست متكافئة من حيث الوزن أو الاهمية، ويمكن القول ان الجوهر الاساسي للصهيونية يتكون من ثلاثة نظم عقائدية متكاملة: أولها، المفاهيم الدينية، وثانيهما، الفكرة القومية، وثالثها، العنصرية السياسية.

ويرى الباحث ان أبرز المقولات التي تبناها الاعلام الصهيوني كأساس لتبرير «شرعية» اغتصاب فلسطين وبناء دولة للمستعمرين الغزاة على أرضها و «شرعية» ممارسة أقصى درجات العنف والارهاب في محاولة لابادة شعبها فضلاً عن «شرعية» فرض نظام متكامل من القمع والعنصرية على من خضع من هذا الشعب للاحتلال الصهيوني هي: مبدأ العودة إلى «أرض الميعاد»، ومفهوم الرسالة الحضارية، وقيم الريادة والانجاز، ومبدأ حق تقرير المصير، وحق الفتح واعتبارات الامن القومي، واشاعة وهم الديمقراطية الوحيدة في الشرق الاوسط.

وعلى ضوء هذه المقولات الاساسية التي يتبناها الاعلام الصهيوني، يمكن القول ان الخروج من «العزلة» السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعيش فيها اسرائيل نتيجة لاصرارها على اسباغ «الشرعية» على عملية اغتصاب وطن وتشريد شعب واتباع سياسة عنصرية وعدوانية وتوسيعية في المنطقة — يشكل في النهاية الغاية الرئيسية لنشاطات اسرائيل وعلى رأسها السياسة الخارجية.

وعلى ضوء هذا الاطار العام للاعلام الصهيوني، جرى تبويب الدراسات التي يتضمنها هذا الكتاب وتحديد ابوابه وفصوله، حيث قسم الكتاب إلى أربعة ابواب تتضمن عشرة فصول بالاضافة إلى المقدمة والخاتمة.

يتضمن الباب الاول وعنوانه «الايديولوجية الصهيونية والاعلام.. نظرة تقدمية» دراسة تحليلية للايديولوجية الصهيونية وبنيتها الرجعية والتطور التاريخي لها وذلك كله من المنظور الاعلامي. ولقد اشتمل الفصل الأول: «الايديولوجية الصهيونية.. الاسطورة والواقع» على اختيار لخمسة «أساطير» أساسية تتبناها الصهيونية على ضوء الواقع القائم في المنطقة: أولاها الانسانية الصهيونية، وثانيتها — فكرة الضحية، وثالثتها — رسالة الرجل اليهودي في تمدين فلسطين، ورابعتها — المعجزة الاسرائيلية، وخامستها — الوجه المسالم لاسرائيل.. وهكذا يصل إلى القول بأن اسرائيل ابعد من ان تكون قوة سلام، وإنما هي قوة عدوان متواصل وتوسع مستمر. أما الفصل الثاني — «الجوهر الرجعي للصهيونية» فهو يقدم دراسة تحليلية للايديولوجية الصهيونية من جهة نظر باحث ينتمي إلى المدرسة السوفيتية التي تربط ما بين الصهيونية والامبريالية العالمية في منظومة عدوانية واحدة. وانطلاقاً من هذا التوجه تنتقل إلى تحديد الوظائف الاساسية لجهاز الدعاية الصهيونية المعاصر الذي تساعده بالقطع حقيقة التغلغل الاعلامي الصهيوني في العالم.

أما الباب الثاني — «التوجهات الجديدة للاعلام الصهيوني» فيقدم في الفصل الأول دراسة أساسية عن الدور الجديد الذي أخذ يلعبه الاعلام الصهيوني في مواجهة النجاح الذي حققه الجانب العربي في التأكيد على جدية السعي من اجل السلام، وخاصة بعد اقرار مشروع فاس العربي للسلام، ويتلخص هذا الدور الجديد في العمل على احباط جهود السلام. ولقد تمت دراسة هذا التوجه الاساسي الجديد من خلال استعراض ثلاثة من ابرز التوجهات الاسرائيلية المعاصرة: أولها اتفاقية كامب ديفيد، وثانيها، سياسة المستعمرات وثالثها، الخيار النووي الاسرائيلي واستمراراً لدراسة هذا التوجه العام يركز الفصل الثاني على دراسة حالة تطبيقية للاعلام الصهيوني على الساحة الامريكية خاصة بعد حرب اكتوبر / تشرين الاول عام ١٩٧٣ وما احدثته من تغييرات على الساحة العربية والاسرائيلية. وكذلك تأخذ الدراسة في اعتبارها التأثيرات التي احدثها ظهور المقاومة الفلسطينية كتجسيد لارادة الرفض العربية — من ناحية وصعود نفوذ العالم الثالث في الامم المتحدة — من ناحية ثانية،

والتغيرات داخل اسرائيل نفسها سواء على مستوى القمع الذي تجري ممارسته ضد الشعب الفلسطيني وعلى مستوى حركات الاحتجاج والرفض الاسرائيلية مثل «حركة السلام الان» في اسرائيل ــ من ناحية ثالثة.

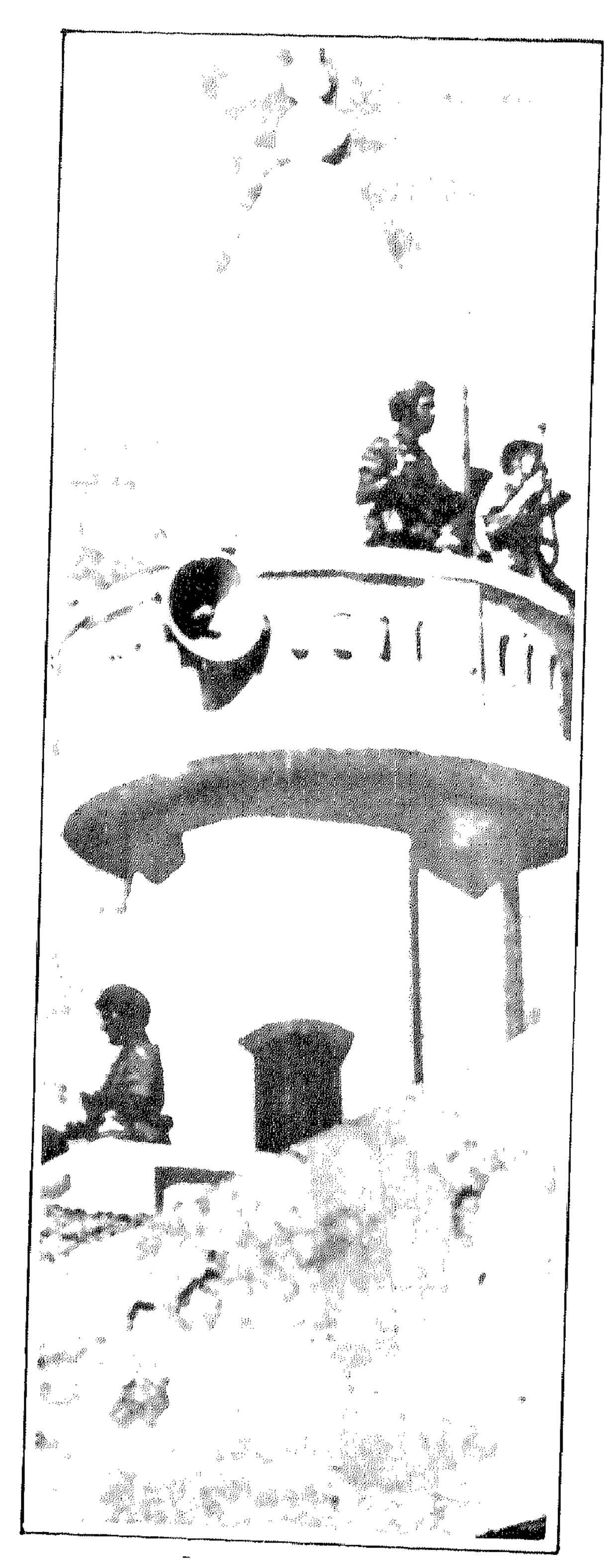
ثم انتقل الباب الثالث «الاعلام الصهيوني والقضية الفلسطينية»: الشعب والأرض إلى استعراض الجوانب المختلفة للصراع الاصلي والجوهري الذي جرى ويجري على أرض فلسطين وهو الصراع الفلسطيني ــ الصهيوني. وهكذا فقد عالج الفصل الاول ــ الصهيونية والفلسطينيون ــ المشكلة التي تفوق الوصف ــ الاتجاهات الصهيونية والاسرائيلية الاساسية تجاه الشعب الفلسطيني وأرض فلسطين من منظور تاريخي. وفي اطار أسس عقائدية مختلفة تتفق حول نقطة واحدة، وهي رفضه الاعتراف بكيان قومي فلسطيني في اعلامها الموجه للداخل والخارج. إلا ان ظهور منظمة التحرير الفلسطينية أرغم القوى الصهيونية في اسرائيل على اجراء نقاش حول الموقف والاتجاهات التي يجب ان تتبع تجاه الفلسطينين، لكن هذه «الادعاءات الصهيونية والاسرائيلية حول فلسطين» ــ وذلك بالاحالة إلى خمسة اسانيد أساسية: أولها ــ يتصل بالوضع الديموجرافي والثاني يرتبط بالمدى الاقليمي وقضية الحدود، والثالث يدور حول السياسة المائية، والرابع يرتكز على مطلب الامن، والخامس يعالج المنظور الديني للادعاءات الصهيونية. ولقد اعتمد هذا الفصل على نفس هذه الاسانيد الخمسة ذاتها لتنفيذ الادعاءات الصهيونية والاسرائيلية على أساس ان العملية لها دائماً وجهان والعبرة بالمصالح والتوجهات التي تحكم النظر إلى احد الوجهين.

كذلك تتضمن الدراسة تفنيداً لعدد آخر من الادعاءات الصهيونية والاسرائيلية، التي تجعل من حقائق التاريخ وابرزها عروبة فلسطين والنزعة التوسعية الاسرائيلية ــ قضايا مطروحة للنقاش. ولا شك ان نجاح الاعلام الصهيوني الاسرائيلي الذي جعل هذه الحقائق ما تزال مفتوحة للنقاش قد اعطى بالفعل مصداقية «الجانب الاخر» وشرعية للكذب.. ثم استعرض الفصل الثالث «موقف الاعلام الصهيوني من الشعب الفلسطيني» هذا الموقف الذي ينطلق من مبدأ نفي وجود الشعب الفلسطيني وانكار حقوقه وتراثه ومؤسساته. وعلى هذا الأساس فقد جاء شعار «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض» بحكم ضرورة اخلاقية بحتة لتبرير عملية لا اخلاقية بالمرة. لانه عندما «اكتشفت» جحافل الاستعمار الصهيوني التي اجتاحت البلاد ان فلسطين لم تكن خالية، وانما كان يسكنها شعب عريق في تاريخه وحضارته ومقومات وجوده فقد أصبحت مهمة هذه الجحافل العمل على الغاء هذه الحقيقة، فكانت حملات الابادة والتشريد والتهجير التي تشكل أكبر مظلمة في القرن العشرين. ولقد هدف الاعلام والادب الصهيونيين في الواقع إلى جعل هذه العملية تتم بدون ألم أو حتى وخز الضمير.

وينتقل الفصل الرابع إلى استعراض «تعامل الاعلام الصهيوني مع قضية فلسطين» انطلاقاً من وجود ثلاثة مستويات لهذا الاعلام، أولها ــ المستوى الفلسطيني (سواء داخل فلسطين المحتلة ١٩٤٨، أو في المناطق المحتلة بعد ١٩٦٧، أو الفلسطينيين في المنفى)، وثانيها ــ المستوى اليهودي، وثالثها ــ المستوى الدولي وتركيز الدراسة بصفة خاصة على تحليل التحول في النهج الاعلامي الصهيوني نتيجة للاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٧٣، وقد جرى هذا التحول الاعلامي ضمن اطار محاولة استيعاب الظاهرة واعطائها مضموناً سياسياً جديداً يتمثل في التأكد على جانب الامن الذي يحول دون اسرائيل والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وعلى ان الأرض هي الوطن البديل لهذا الشعب. وتتابع الدراسة مرحلة صعود الليكود والتمايز الذي حدث على المستوى الاعلامي بين توجهات الاذاعة والتلفزيون كأدوات حكومية والصحافة بتعبيراتها السياسية المختلفة.

أما الباب الرابع «موقف الاعلام الصهيوني من القضايا السياسية الراهنة» فقد انطلق من تحديد أبرز هذه القضايا في قضايا الاحلاف. التسليح حركات التحرر الوطني، التمييز

العنصري، وبالتالي فقد خصص الفصل الاول لاستعراض موقف الاعلام الصهيوني من هذه القضايا الاربع بشكل مباشر. وقد اشارت الدراسة إلى ان الاعلام الصهيوني يؤيد تحالف اسرائيل مع الدول الاستعمارية القديمة والجديدة وخاصة الامبريالية الامريكية كما يشجع تعاون اسرائيل مع حلف شمال الاطلسي تحت شعار حماية أمن اسرائيل أو الوقوف بوجه التهديد العربي أو «الخطر الشيوعي». كذلك يعتمد الاعلام الصهيوني إلى تشجيع سياسة التسلح وبيع السلاح إلى الانظمة القمعية والمستبدة في بلدان العالم الثالث، ويعادي بالتالي حركات التحرر الوطني في أي مكان من العالم. وفضلاً عن ذلك فقد اشارت الدراسة أيضاً إلى دفاع الاعلام الصهيوني عن الفكرة العنصرية. ولقد كانت هذه الفكرة الاخيرة ذاتها محل دراسة تفصيلية. في الفصل الثاني ــ النظام العنصري في جنوب افريقيا وعلاقته بالاعلام الصهيوني ــ وقد اشارت هذه الدراسة إلى ان الأساس في قيام النظام العنصري في جنوب افريقيا وعمله هو انه ظاهرة استعمارية وكيان استيطاني له مقوماته وعقيدته ومؤسساته السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية وكشفت الثقافة السياسية للكيان الاستيطاني الابيض وحددت الثوابت والاصول في التصورات والمدركات الثقافية والاعلامية. ومن ثم تحدثت الدراسة عن التعاون والتفاعل والتبادل بين اسرائيل وجنوب افريقيا في قطاعات الاعلام والثقافة والاتصال والاقتصاد والسياسة فضلاً عن التعاون العسكري والنووي. وخلصت الدراسة إلى ان هذه العلاقة هي علاقة متميزة لا تتكرر في الحاضر ولن تتكرر في المستقبل، وانها علاقة مريحة وملائمة للجانبين، واشارت الورقة في مجال المواجهة إلى أهمية دعم التعاون العربي الافريقي على مختلف المستويات.



□ جنود الصهاينة ينتهكون حرمة المآذن.

* * *

□ فقد جون جريمشو ويلكنسون، النباتي الأميركي، بصره في الثالثة والعشرين ولكنه تعلم أن يميز بين الأزهار بمسها بطرف لسانه وكان في وسعه أن يسمي على الفور خمسة آلاف صنف منها.

المجلة العلمية الأميركية

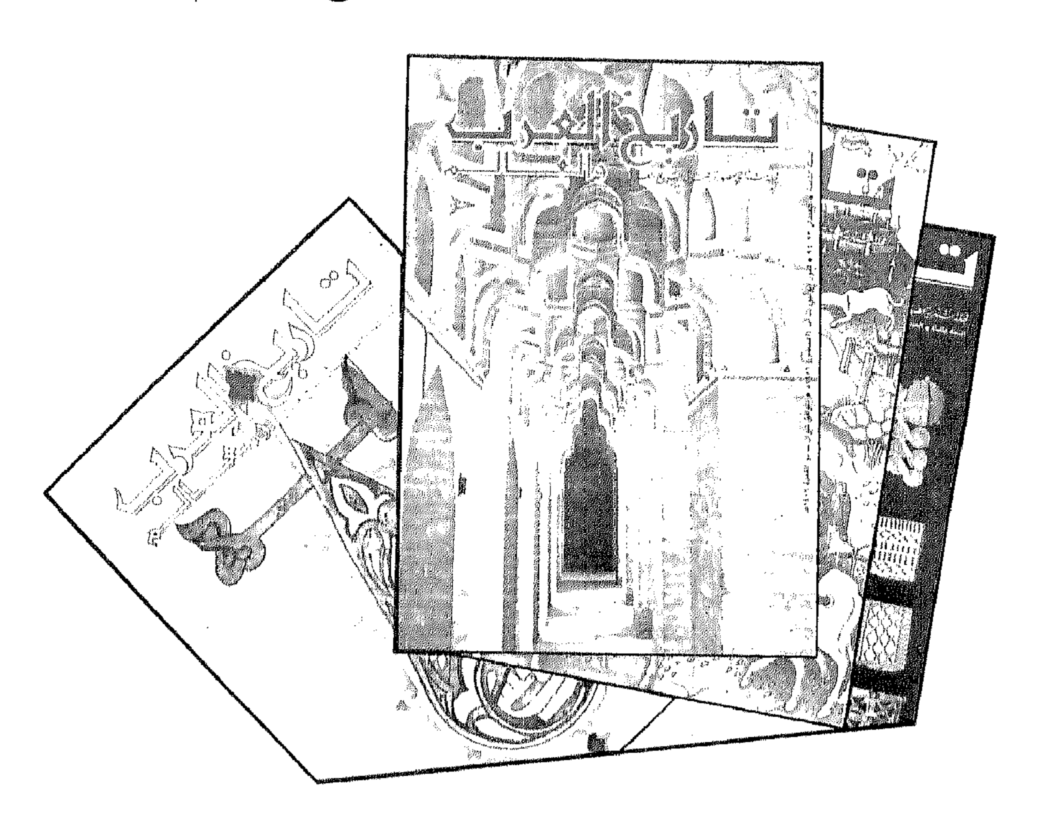


رسائل الدكتوراه والماجستير

استجابة لرغبة المجلة في تعريف العرب بتاريخهم عبر دراسات علمية ومسؤولة، واستجابة لدعوتها الأساتذة والمؤرخين وطلاب الدراسات العليا لنشر موجز عن رسائلهم الجامعية، فقد وصلنا من الأستاذ: «جورج إبراهيم ديب» عرض لرسالته الماجستير بعنوان: «دراسة وفهرست مجلة تاريخ العرب والعالم». ونحن في فتحنا هذا الباب نتمنى أن نزيد من اطلاع قرائنا على نتائج باحثينا مؤملين سد ثغرة في مكتبتنا العربية وفهارسها المعتمدة، لما يفيد الجميع.

دراسة وفهرست مجلة "تاريخ العرب والعالم"

إعداد: جورج إبراهيم ديب



□ رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب ـ الجامعة اللبنانية ـ الفرع الثاني ١٩٨٧م.

□ منحته اللجنة المؤلفة من المشرف الدكتور جوزف غانم، الدكتور جان شرف والدكتور إبراهيم ريشا تقدير حسن.

أهمية الرسالة



تكمن أهمية الرسالة في الكشف عن الدور الهام الذي تلعبه الدوريات بشكل عام والتاريخية منها بشكل خاص، كمصدر من مصادر التاريخ، وذلك من خلال دراسة تقويمية لإحدى الدوريات التاريخية، مجلة «تاريخ العرب والعالم» التي ساعد الباحث، من خلالها، في الكشف عن بعض حقب تاريخ لبنان والعالم العربي عن طريق وضع ثلاثة فهارس لها: زمني وموضوعات وأعلام، مما يُسهّل على الدارسين سبل البحث والتنقيب ويُجنّبهم عناء التحري والتقصي في محتوياتها.

هدف الرسالة

إلقاء الضوء على الدوريات التي أصدرها اللبنانيون منذ منتصف القرن الماضي إلى وقتنا الحاضر والتي تعتبر بحق مصدراً حياً من مصادر التاريخ، وذلك من خلال دراسة عامة لمجلة «تاريخ العرب والعالم» إحدى تلك الدوريات، خشية أن تصاب ما أصاب سابقاتها من النسيان، ونظراً لاهتماماتها بالكتابات التاريخية ولغناها بالتراث الإنساني الحافل بالعطاءات الفكرية.

هيكلية الرسالة

تقع الرسالة في ٢٣٦ صفحة، ضمن أربعة فصول إلى جانب مقدمة وخاتمة وفهرس بالمصادر والمراجع.

تناول الباحث في **الفصل الأول** دراسة وتقويم عام لمجلة «تاريخ العرب والعالم»، من حيث صاحبها، نشأتها، أهدافها، ماهية الفهرسة وأهميتها، مجلة «تاريخ العرب والعالم» والصحافة، آراء القرّاء في المجلة وأثرها فيهم، كتّابها، موضوعاتها، الاتجاهات العامة للمجلة وأخيراً مصطلحات عامة اعتمدها الباحث لتسهيل الإفادة من المقالات الواردة في المجلة وتوضيح ذلك أمام الدارسين.

ونقتطف من الجزء الخامس «مجلة تاريخ العرب والعالم والصحافة» الفقرة التالية:

لقد فتحت المجلة مجالات رحبة لأقلام المؤرخين والمفكرين وغيرهم، يقدمون على صفحاتها ثمرات عطاءاتهم الفكرية في جو طليق يتسع مداه وإن تضاربت مواقفهم وتناقضت ولا سيما من خلال المناظرات حول بعض الشخصيات التاريخية وغير ذلك.

ولقد تمكنت خلال: «عامها الأول أن تكسب آلافاً من القراء والأصدقاء والموجهين والناقدين، استطاعوا باحتضانهم الحار أن يحطموا أرقاماً قياسية في ميدان التوزيع وينتصروا لقضية الصحافة المتخصصة الجادة والملتزمة بطموحات وتطلعات الإنسان العربي».

فهذه المجلة التي تستمد بشكل عام، من التاريخ وجودها واستمراريتها، تقدم للقارىء عملاً ضخماً مثمراً، يمكنها من تأدية رسالتها على أفضل وجه ممكن.

ومهما يكن من أمر، فإن من طبيعة الصحيفة في الدرجة الأولى، تأمين نجاحها في الميدان الصحفي، وإثارة الجماهير، بموادها الحية النابضة لأن: «كل صحيفة أو مجلة تحرص على نجاحها... والنجاح المادي للصحف الملتزمة بخط وطني ليس هدفاً بحد ذاته وإنما هو وسيلة لوصول الكلمة الحرة المكتوبة لأكبر عدد من الجماهير».

وهذا التفاعل القوي بينها وبين رسالة الصحافة سمح لها بأن تتخطى نقطة اللارجوع، وتقف على قدميها، وتقطع أشواطاً بعيدة في هذا المجال الذي قادها نحو طريق النجاح مما جعل الباب أمامها مفتوحاً في عالم الصحافة في لبنان خصوصاً، وفي العالم العربي عموماً.

وإن الاهتمام الذي لاقته من قبل الصحافة، يعتبر شهادة قيّمة لها، نظراً لما تحملته عبر أسرة تحريرها من مسؤوليات ومهام جسام في إطار الدور الذي نذروا أنفسهم له، ألا وهو إعادة كتابة تاريخ لبنان والعرب، واكتشاف ما عفا عليه الزمن.

ولا يعني لنا، أن مجلة «تاريخ العرب والعالم»، هي المجلة الوحيدة التي تعنى بالتاريخ، بل ان هناك مجلات أخرى تقوم بأدوار مشابهة لها تقريباً، منها مجلة «دراسات تاريخية»، و «مجلة البحث التاريخي»، و «مجلة البحوث التاريخية».

ولقد تنوعت اراء الصحف والمجلات حول المجلة ومواقفها، بتنوع مصادرها، وذلك من خلال رؤيتهم الواضحة لمسيرتها وأهدافها المعلنة في افتتاحياتها وكتاباتها التاريخية.

ومما قيل عنها .في هذا الصدد: «مجلة«تاريخ العرب والعالم» مجلة متخصصة تبحث في التاريخ العربي الغني بتراثه ودروسه وعبره. شاءها فاروق البربير لترد على احتياجات الفكر العربي الباحث. فجاءت تجمع بين دفتيها، عصارة نتاج الباحثين من الاعلام في عالمنا الحاضر وتقدم للمثقف العربي فصولاً جديدة من قراءات التاريخ... حتى صار صدورها الشهري موعداً لندوة مع الفكر رحيبة تعد بالعطاء».

وإن غناها بالمقالات المختلفة استهوت الكثير من القراء وجعلها: «ترضي قطاعاً كبيراً من المثقفين والمتخصصين».

واستطاعت المجلة أن: «تلقي الضوء على بعض القضايا المجهولة بأسلوب سهل وبسيط، وتقدم في الوقت نفسه معارف مفيدة للقارىء».

أما مجلة الأخبار الأردنية فكتبت تقول: «أصبح للتاريخ مجلته الشهرية في بيروت... وها هو فاروق البربير يحاول على طريقته إخراج مادة التاريخ من حرم الجامعات ووضعها بين أيدي الناس، دون أن تفقد رصانتها».

هذا قليل من كثير، مما جاء على صفحات الجرائد والمجلات اللبنانية والعربية، فهي تبين لنا مدى الدور الذي أحدثته في عالم الصحافة، بحيث جاءت لتساعد قدر الإمكان في سد فراغ ثقافي تاريخي طالما عانينا منه، ولتنفض عن تاريخنا غبار الزمن وتجعله في متناول الباحثين والقراء لكي نتلمس منه قضايانا الفكرية والإنسانية.

تناول **الفصل الثاني**، الفهرس الزمني من حيث اسم المؤلف، عنوان المقال، سنة الصدور ورقم الصفحات.

والفصل الثالث، تناول فهرس الموضوعات. وقد قسمه الباحث إلى خمسة أقسام:

ـــ القسم الأول، يشير إلى عنوان المقال في المجلة.

ـــ القسم الثاني، يشير إلى اسم المؤلف مع ذكر المترجم والمحقق في حال وجود ذلك.

ـــ القسم الثالث: يشير إلى سنة الصدور.

ـــ القسم الرابع، يشير إلى رقم العدد.

ـــ القسم الخامس: يشير إلى رقم الصفحة.

أما **الفصل الرابع** والأخير، فيتناول فهرس الأعلام، من حيث أسماء الذين كتبوا في المجلة حسب الترتيب الأبجدي وعنوان ما كتبوا حسب التسلسل الزمني من غير ذكر اسم المترجم والمحقق وقد اتبع في هذا الفهرس المصطلحات التالية:

ـــ القسم الأول يشير إلى اسم المؤلف.

ـــ القسم الثاني يشير إلى عنوان المقال في المجلة.

ـــ القسم الثالث يشير إلى سنة الصدور.

ـــ القسم الرابع يشير إلى رقم العدد.

ـــ القسم الخامس يشير إلى رقم الصفحة.

وأخيراً، الخاتمة التي يؤكد فيها الباحث على «أن أبرز ما يميز عملنا، هو أننا تحدثنا عن المجلة بشكل موسع قدر الإمكان في فصل واحد، فعرضنا تقريباً مجمل النواحي المتعلقة فيها وبصاحبها، كما استندنا إلى بعض المصادر والمراجع ولا سيما بعض أعدادها، لكي نقرّب عملنا في التكامل والموضوعية.

كما اننا تناولنا ثلاثة فصول تتعلق بفهرسة أعدادها وموضوعاتها، وأعلامها، مرتبين إياهم بشكل جلي مما يزيد في أهمية المجلة قيمة ووضوحاً». ●

* * *

□ الشجاعة الصغيرة الدائمة، أصعب مزاولة في الأقدام الكبير عرضا.

جوستاف لوبوت

□ إن فتح البلدان، وحمايتها، لا يكفيان وحدهما للسيطرة عليها والاحتفاظ بها، بل لابد معهما من مؤهلات خلقية.

اندريه موروا

من قصص العرب

تأديبُ عمر بن الخطاب لعمّاله(*)

كان عمرُ بن الخطاب جالساً في المسجد فمرَّ به رجل فقال: ويلٌ لك يا عمر من النار! فقال: قرّبوه إليّ. فدنا منه، فقال: لِمَ قلتَ ما قلت؟ قال: تستعملُ عُمَّالَك وتشترط عليهم، ثم لا تنظر: هل وَفَوْا لك بِشَرْطٍ أم لا؟ قال: وما ذاك؛ قال: عاملك على مصر اشترطتَ عليه فترك ما أمرته به، وارتكب ما نهيته عنه، ثم شرح له كثيراً من أمره.

فأرسل عمر رجلين من الأنصار، فقال لهما: انتهيا إليه فاسْألا عنه، فإن كان كذَب عليه فأَعْلماني، وإن رأيتما ما يسوءكما فلا تُمَلِّكاه من أمره شيئاً، حتى تَأْتيا به.

فذهبا فسألا عنه، فوجداه قد صدق؛ فجاءا به إلى بابه، فاستأذنا عليه، فقال صاحبه: إنه ليس عليه اليوم إذْنٌ. قالا: لَيخرجَنَّ إلينا أو لنحرِقنَّ عليه بابه، وجاء أحدُهما بشُعْلَةٍ من نار.

فدخل الآذِنُ فأخبره، فخرج إليهما، فقالا: إنا رسولا عمر إليك لتأتيه، قال: إن لي حاجة، تمهلانني إلى أن أتزود. قالا: إنه عَزَم علينا الا نُمْهلك.

فاحتملاه وأتيا به عُمَر، فلما أتاه سلم عليه فلم يعرفه، وقال له: من أنت؟ وكان رجلاً أسمر، فلما أصاب من رِيْف(١) مصر ابيضَّ وسمن — فقال: أنا عاملك على مصر، أنا فلان. قال: وَيْحَك! ركبتَ ما نُهيت عنه، وتركتَ ما أُمِرتَ به، واللّهِ لأعاقبنك عقوبةً أُبْلِغ إليك فيها.

آتُوني بكساء من صوف وعصا وثلثمائةِ شاة من غَنَم الصدقة؛ ثم قال له: الْبس هذه الدُّرَّاعة(٢)؛ فقد رأيتُ أباك، وهذه خير من دُرَّاعته، وخُذْ هذه العصا فهي خيرٌ من عصا أبيك، واذهب بهذه الشِّيَاه فارْعَها في مكان كذا — وذلك في يوم صائف(٣) — ولا تمنع السَّابِلَة(٤) من ألبانها شيئاً إلا آل عمر، فإني لا أعلم أحداً من آل عمر أصاب من ألبان غنم الصدقة ولحومها شيئاً.

(*) ابن أبي الحديد:٣ ــ ٩٨.
(١) الريف هنا: ارض فيها زرع وخصب.
(٢) الدراعة: جبة مشقوقة من المقدم.
(٣) يوم صائف: شديد الحر.
(٤) السابلة: أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم.

● ●

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«من وُلّي من أمر المسلمين شيئاً، فولّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».
وقــــال:
«من وُلّي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، أو ليس له زوجة فليتزوج، أو ليس له دابة فليتخذ دابة».

● «كان الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول في القضاء: «أظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر، فإن من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً».



تقرير عن وثائق ومصاحف المتحف الأسلامي في القدس:

المتحف الإسلامي في القدس، أحد المتاحف المهمة في فلسطين. وقد تأسس في عام ١٩٢٣ بمبادرة من المجلس الشرعي الأعلى. ويتألف من قاعدتين رئيسيتين، ويحتوي على مجموعات أثرية ثمينة ومصاحف، ومخطوطات ومسكوكات، وقطع معدنية وزجاجية ونقوش رخامية.

وجاء في تقرير وصلنا من محمد حسن حسين من عمان بالأردن أن المتحف يحتوي على مجموعة قيمة من الوثائق والمصاحف، ففيه حوالي ٩٠٠ وثيقة تعود إلى الفترتين المملوكية والعثمانية، مكتوبة بعدة خطوط، وتبحث في عدة مواضيع، منها محاضر بيع كروم وأملاك وشراء أرض وأملاك وعقود زواج، وتعيين قراء في المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ومحاضر بحصر إرث، وغيرها.

وهناك عدد لا بأس به من المصاحف، يقدر بحوالي ٦٥٠ مصحفاً، تعود إلى مختلف الفترات الإسلامية، ومكتوبة بخطوط مختلفة، ومعظمها كان وقفاً على المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وجزء منها كان وقفاً على بعض المساجد القديمة في المدن الفلسطينية الأخرى، حيث اعتاد الملوك والأمراء والولاة وقف المصاحف وكتب التفسير على المساجد، خاصة قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وتعيين القراء لتلاوتها.

وأهم هذه المصاحف مصحف مكتوب بالخط الكوفي، وهو عبارة عن الجزء الثاني من المصحف وتعود كتابته إلى القرن الثاني الميلادي، وكان وقفاً على قبة الصخرة، وجاء إلى المتحف عن طريق مكتبة المسجد الأقصى.

وهناك مصحف آخر مهم، وهو المصحف الكبير، يبلغ طوله ١١٠ سم، وعرضه ١٩٠ سم، وكان موقوفاً على المسجد الأقصى، ويذكر مجير الدين الحنبلي في الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل (٩٦/٢) إن الذي اوقفه هو الملك الأشرف سيف الدين برسباي. وكان قد اهدي إليه في دمشق. وقد قرر على القراءة فيه الشيخ شمس الدين محمد بن قطلوبغا المغربي، وهو مكتوب على ورق صقيل بالحبر الأسود، وبخط ثلث متقن ومشكل الأحرف.

استحداث جائزة لبحوث الحضارة الإسلامية:

انشأ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) في الأردن جائزة أطلق عليها «جائزة عبد الله بن الحسين لبحوث الحضارة الإسلامية»، وقرر المجمع أن يمنح الفائز مبلغ ٣ آلاف دينار أردني ورصيعة ذهبية عليها شعار المجمع واسم الجائزة، وشهادة باسمه وعنوان البحث.

ويذكر أن الجائزة سوف تمنح كل سنتين، وآخر موعد لقبول بحوث الجائزة الأولى هو آخر نوفمبر ١٩٨٧.

جمعية جديدة باسم «الجمعية المغربية للتراث»:

اسس مجموعة من أساتذة الجامعات المغربية جمعية علمية اطلقوا عليها اسم «الجمعية المغربية للتراث»، وذلك بهدف إحياء تراث الأمة في مختلف ميادين العلم والمعرفة. وقد اعتمدت الجمعية عدة وسائل لتحقيق اهدافها، منها: الفهرسة، التصوير، التحقيق، الطبع والنشر والتوزيع، التأليف والدراسة، الترجمة، إصدار النشرات والمجلات المتخصصة، تنظيم الندوات والمحاضرات، عقد المؤتمرات واللقاءات الثقافية والمشاركة فيها داخل المغرب وخارجه.

وتعقد الجمعية آمالاً كبيرة على المعاهد والمؤسسات والجمعيات المعنية بالتراث.. وعلى الأفراد من الباحثين والعلماء، في مساعدتها ومديد العون لها لوضع أهدافها موضع التنفيذ، كما تضع بالمقابل كل إمكاناتها المتواضعة في خدمتهم.

أخبار الجامعات والمؤسسات

فهرس شامل للمخطوطات العربية في جامعة الكويت:

يجري حالياً إعداد فهرس شامل للمخطوطات العربية الأصلية والمصورة المحفوظة في مكتبة المخطوطات بجامعة الكويت. ويقوم بالمهمة فريق عمل، يضم أمين المكتبة احمد الخازندار. وقد تم حتى الآن إنجاز حوالي ١٥ الف بطاقة، ومن المتوقع أن يصل عدد البطاقات إلى ١٨ الفاً، وسوف يصدر الفهرس قريباً شاملاً لجميع مقتنيات المكتبة منذ إنشائها، بما فيها الفهارس التي سبق إصدارها.

ويذكر أنه كان قد صدر فهرس للمخطوطات العربية المصورة الموجودة بمكتبة المخطوطات بجامعة الكويت عام ١٩٨٣، في جزأين، اعدهما الخازندار، وبلغ عدد العناوين فيهما ٢٠١٤ عنواناً موزعة على مختلف العلوم العربية والإسلامية.

فهرس للمخطوطات العربية بمكتبة عبد الله بن العباس في الطائف:

صدر عن المعهد «فهرس المخطوطات العربية بمكتبة عبد الله

بن العباس في مدينة الطائف». وتعد مكتبة عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما) من الخزائن التي عانت من الإهمال فترة طويلة، إلى أن قام الشيخ حسن عرب بفتحها في حوالي عام ١٣٨٤هـ، وأنقذ ما يمكن إنقاذه من مخطوطاتها المكدسة في صناديق واكياس.

وتحوي المكتبة على مخطوطات كثيرة كانت للشيخ عبد الحفيظ بن عثمان بن محمد بن عثمان القاري (وكان حياً ١٣١٩هـ) وأخيه الشيخ محمد بن عثمان القاري. ويذكر أن الوالي التركي محمد رشدي باشا المتوفي ١٢٩١هـ، هو الذي أسس هذه المكتبة.

وجاء في التصدير الذي كتبه المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الأستاذ الدكتور محي الدين صابر:«اما هذا الفهرس الذي يقدمه المعهد في سياق خدمة التراث وإحيائه ومساعدة الباحثين والمحققين فهو عمل صالح، أنجزه في قدرة وأمانة عثمان حسين الأستاذ بالكلية المتوسطة في الطائف، وبذل فيه جهداً نافعاً. لقد قام الباحث بفهرسة المكتبة ووصف مخطوطاتها التي تبلغ خمسين واربعمائة مخطوط عداً، وصنفها ورتبها على الحروف الهجائية داخل تقسيمات العلوم، ملتزماً بمنهجية الفهرسة الصحيحة».

بدء المرحلة الثانية من مشروع البيليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم:

بدأ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستنبول في تنفيذ المرحلة الثانية من مشروع «البيليوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم»، وهي المرحلة الخاصة بالترجمات المخطوطة. وقد أعد المركز بطاقة اشتملت على أهم المعلومات التي ينبغي جمعها أو رصدها لكل ترجمة، هي:

اسم الكتاب: بالحروف اللاتينية، العربية، اللغة المترجم إليها. اسم المترجم. تاريخ الميلاد. تاريخ الوفاة. مكان وجود الترجمة. لغة الترجمة. تاريخها. نوع الترجمة: بدون تفسير، مع تفسير، مع النص العربي، بدون النص العربي، مستقلة، بين الأسطر، كاملة، ناقصة. اسم الناسخ. تاريخ الميلاد. تاريخ الوفاة. تاريخ الاستنتاخ. مكان الاستنساخ. مقاسات الكتاب عدد الورق. عدد الصفحات. عدد أسطر الصفحة. نموذج الخط. نوع الورق. نوع التجليد. التزيينات. أول الكتاب. آخر الكتاب. القيودات والخصائص الأخرى. جهة الإعداد.

جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق لعام ١٩٨٧:

أعلنت وزارة الشؤون الثقافية عن جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق لعام ١٩٨٧، وخصصت لها مكافآت مالية تتصاعد حسب أهمية المخطوط أو الوثيقة التي توجد في الملكية الخاصة، كما يلي:

أولاً: للاهم من الكتب المخطوطة والمؤلفات والتقاييد والكناشات العلمية والمذكرات الشخصية وخطوط العلماء والكنانيش ونسخ الملحون ومجموعات الفتاوى او الرسائل ودواوين الاشعار والمجموعات الموسيقية، وكل ما هو مخطوط ولو كان على ورقة أو ورقات معدودة.

ثانياً: للوثائق أياً كان عمرها وموضوعها والظهائر والرسائل الرسمية أو الشخصية أو الرسوم العدلية والمحاسبات والإجازات العلمية وشهادات الأنساب، وغير ذلك.

وذكر بلاغ صادر عن الوزارة أن لجنة برئاسة وزير الشؤون الثقافية ستشرف على فحص هذه المخطوطات وتقييمها.

وأكدت الوزارة أنها اتخذت كل الاحتياطات لضمان إرجاع المخطوطات إلى اصحابها كاملة غير منقوصة، بدون إبطاء ولا تأخير فور انتهاء المعرض وأشغال اللجنة المختصة.

وأوضح البلاغ أن قيمة المخطوطة او الوثيقة تتجلى في مدى الفائدة التي تعود على تاريخ الأمة وحضارتها، مشيراً إلى ان ضياع وثيقة مهمة نتيجة آفة من الآفات تعد خسارة في ثروة الأمة الفكرية. ولهذه الاعتبارات كلها قررت وزارة الشؤون الثقافية تصوير المخطوطات والوثائق النفيسة لتحفظ في المكتبة العامة بالرباط للاستفادة منها.

وأكد البلاغ أن تصويرها لا يمكن أن يصيب المخطوط أو الوثيقة بأي ضرر، ولا يفقد أياً منها ماله من قيمة كمستند خطي، وكشف عن أن الوزارة لن تقبل المخطوطات والوثائق التي سبق عرضها وتقديمها في المسابقة الحالية.

انتخاب ١٧ أستاذاً كمراسلين لمجمع اللغة العربية في دمشق:

انتخب مجمع اللغة العربية في دمشق مؤخراً ١٧ أستاذاً، ليكونوا اعضاء مراسلين له، وهم: عبد الكريم خليفة ومحمود إبراهيم ومحمود السمرة (الأردن)، محمد الحبيب بلخوجة ومحمد سويسي ورشاد حمزاوي (تونس)، صالح

الخرفي (الجزائر)، رشدي الراشد ووديع فلسطين (مصر)، عبد الهادي التازي وعبد الرحمن الفاسي ومحمد ابن شريفة وعبد العزيز بن عبد الله ومحمد الفاسي (المغرب)، عبد الحليم الندوي (الهند)، اكمل الدين إحسان اوغلو (تركية)، أندره ميكيل (فرنسة).

الأمانة العامة للمؤرخين العرب تحذر من تشويه الكيان الصهيوني لتراثنا وتاريخنا:

دعت الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب في بغداد أقسام التاريخ في الجامعات العربية ومراكز البحث العلمي وكل المثقفين العرب إلى ما يصدر عن الكيان الصهيوني في فلسطين من منشورات ومطبوعات تخص القضية العربية عموماً، والتاريخ خصوصاً، وذلك بدراسة واعية عميقة، واكتشاف ما فيه من سموم حاقدة وأفكار مريضة، وطالبت بإحالته إلى الاتحاد لدراسته، والوقوف على ما فيه من أفكار تزيف الحقائق، وتشوه الواقع.

وأكدت في بيان أصدرته لفضح أساليب الكيان الصهيوني في تشويه تاريخ الأمة العربية أن الأعمال الصوفية وتلك التي تعتمد على بحث الفضائل تستهوي الباحثين اليهود في ثناياها عن أمور لا تتفق وروح الإسلام، وأشارت إلى أن الجامعة العبرية في القدس أصدرت في بداية عام ٨٦ عدداً من الكتب المحققة، منها:

— انساب الأشراف، للبلاذري. وقد نشر النص بالعربية والهوامش بالإنجليزية، وما تم نشره يمثل الجزء الرابع من الكتاب. وقد حققه ماكس شوسلنجر. وهناك مجلدات أخرى نشرتها سابقاً الجامعة نفسها.

— ذم الدنيا، لابن أبي الدنيا. حققه المجور، ونشر النص بالعربية.

— الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان. للسيوطي، وحققه ارازي.

— فضائل بيت المقدس، لأبي بكر بن احمد الواسطي.

— جوامع آداب الصوفية، للسلمي.

— آداب المريدين، للسهروردي.

واستطردت الأمانة في بيانها إن هناك نوعية أخرى من الأعمال حظيت باهتمام اليهود، تتمثل في الدراسات التي تقوم حول الأدب والتاريخ العربي والإسلامي.

وأشارت إلى أن من الأعمال الهامة التي نشرتها الجامعة العبرية سلسلة بعنوان «دراسات القدس عن العربية والإسلام»، وهي سلسلة سنوية صدر منها حتى الآن خمسة مجلدات، وتشمل اعمالاً قدمت إلى معهد الدراسات الأسيوية والإفريقية في الجامعة، وتغطي موضوعات عديدة، منها التاريخ الإسلامي والحضارة والفكر في العصور الوسطى، وكذلك اللغة والآداب العربية، كما أشارت إلى دراسة مطولة عن الغزالي في ٥٨٤ صفحة قام بوضعها لزريوس يافح في خمسة عشر عاماً، وكتاب بعنوان «دراسات حول اليهودية والإسلام» ضم مجموعة من البحوث حول آداب وتقاليد المجتمع اليمني والمجتمع اليهودي في المغرب، والتاريخ الإسلامي ووثائق الجنيزا أشرف على تحريرها ابن آمي، وجاءت في مجلدين، وكتاب ثالث بعنوان «دراسات حول بدايات الإسماعيلية» لكاتب إسمه سترن. وقالت إن اهتمامات الدارسين اليهود بقضايا الإسلام وصلت إلى ماليزيا، فوضع احدهم كتاباً بعنوان: «الإسلام والمؤسسات الإسلامية في الملايو البريطانية ١٨٧٥ — ١٩٤١م»

ولفتت الأمانة الانتباه إلى الاهتمام الشديد لليهود بتاريخ فلسطين، حيث يعمدون عادة إلى إبرازه في صورة سيئة تعبيراً عن الوضع المتردي للمنظمة قبل حلولهم فيها، وفي هذا الإطار جاءت مجموعة دراسية نشرتها الجامعة العبرية بعنوان «دراسات حول فلسطين خلال العصر العثماني»، وسلسلة بعنوان «أوراق القدس» اهتمت بترسيخ فكرة الحق اليهودي في القدس، ونشر ضمنها: «الحق اليهودي في القدس» ليهودا بلوم، «الكيان الصهيوني في الشرق الأوسط — مدخل» لياكوف هرزوج، «المفهوم الإسرائيلي للحدود الآمنة»



□ إنك تقرأ كتب التاريخ لتستفيد من أعمال الناس، وما وقع لهم، وما صدر منهم، وما كان من نتائج اعمالهم وتقرأ سير العظماء لتتشبه بهم، وتدرك موضع عظمتهم. وتقرأ الطبيعة والكيمياء لتستفيد من استكشاف قبلك لقوانين الطبيعة، فالحياة كلها تجارب، والتجارب مدرسة للانسان والاستفادة منها أهم سبل النجاح في الحياة.

احمد أمين

كتب وردتنا

□ **تاريخ العرب الحديث**
شبه الجزيرة العربية
كياناتها السياسية
دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت .... د. زاهية قدورة

□ **في ذكرى معركة حطين**
منشورات وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ١٩٨٧ .... تأليف: د. نور الدين حاطوم
د. عادل زيتون

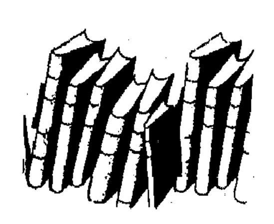
□ **بحوث في التاريخ الاقتصادي**
والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث
دمشق ١٩٨٥ .... د. عبد الكريم رافق

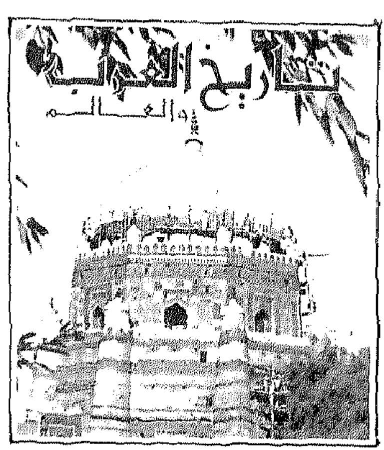
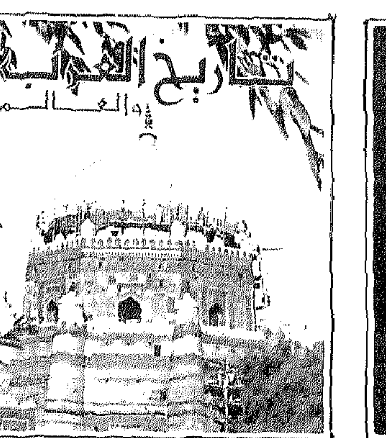
□ **من أسرار الحياة والكون**
الكتاب الخامس عشر(١٥) ابريل ١٩٨٧
سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربـي ـ الكويت .... د. عبد المحسن صالح

□ **العمالة الأجنبية وآثارها السلبية**
على دول مجلس التعاون الخليجي
دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨٧ .... خالد بن محمد القاسمي

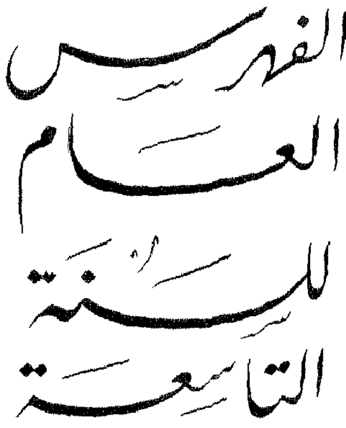
□ **اخبار ائمة الزيدية**
في طبرستان وديلمان وجيلان
سلسلة يصدرها المعهد الألماني
للأبحاث الشرقية في بيروت ١٩٨٧ (٢٨) .... جمعها وحققها: فيلفرد ماديلونغ

□ **من كتاب: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**
(سيرة صلاح الدين الأيوبـي)
منشورات وزارة الثقافة السورية (٤٦) الطبعة الثانية
دمشق ١٩٨٧ .... تأليف: بهاء الدين بن شداد
اختار النصوص وقدم لها: محمد درويش




تاريخ العرب والعالم

تاريخ العرب والعالم

تاريخ العرب والعالم

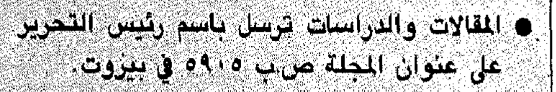

الفهرس العام للسنة التاسعة

تاريخ العرب والعالم

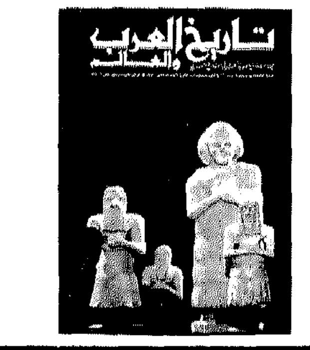
وثائق ومعاهدات

متفرقات

□ رسم تخطيطي لدائرة البروج في نص لاتيني لكتاب «المجسطي» مترجم عن اليونانية. وهناك نص لاتيني آخر لكتاب بطليموس. هذا نقل عن إصلاح ثابت ابن قرة للترجمة العربية التي وضعها له إسحق بن حنين.
من كتاب: عبقرية الحضارة العربية.



- المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة ص.ب ٥٩١٥ في بيروت.
- المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.
- المواد الواردة إلى المجلة لا تردّ إذا لم تنشر.



الغلاف الاول:
□ سوماريو وادي الرافدين
من كتاب: Splendors of the Past